

مکتبہ اسلامیہ علی حسینی ندوی

552

۱۱ مسلمان

و

فلسفین

552

Marfat.com









أبو الحسن علي بن الحسين الندوي

# المسائل ونور قضيتي فلسطين



بند الفهرست شماره ٦٠٠٠

٦ آری ١٩٤١ م

الناشر

الدار الكويتية

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ٢٠١٤٦ - الكويت



135488

لا اله الا الله محمد رسول الله



بمكة المكرمة

الملك فيصل

الجامعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقْدِمَةُ الْكِتَابِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،  
أما بعد : فليست النكبات والكوارث العظيمة التي تصاب  
بها الأمم والبلاد ، مفاجآت أو مجرد مصادفات ، في نظر المطلع على  
سنن الله في خلقه ، ونواميس الفطرة التي خلقها الله ، والمتدبر  
للقرآن - الكتاب المعجز الخالد - والمتدبر لتاريخ الأمم ، بل هي  
الحلقة الأخيرة الواضحة ، والنهاية الطبيعية الحتمية لسلسلة طويلة  
من الحوادث التي لم ينتبه لها في أوانها إلا القليل النادر الذين رزقهم  
الله الفطنة الدقيقة ، والفراصة الصادقة ، وهم الذين قال عنهم :  
« إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمَنْتَوْسَمِينِ » .

ولست هذه النكبات والكوارث إلا نتيجة عوامل كثيرة  
- أكثرها داخلية نفسية - كانت تتفاعل ، وتعمل عملها الطبيعي  
في حياة الأمة والمجتمع منذ زمن طويل ، وكان الذي قد عرف  
طبيعة هذه العوامل ، وقوة تأثيرها ، يستطيع أن يتكهن بمصير



هذه الأمة والمجتمع ، تحت ضغط هذه العوامل ، من غير نبوة أو كهانة ، أو عبقرية أو ألمعية ، كأنه يقرأ في كتاب أو يطالع في صورة ، أو يحكي قصة ماضية ، كالذي عرف أوان المطر ، ورأى مقدماته وطلأته ، فتنبأ بنزول المطر ، وقد يجدد له وقتاً لا يتخلف إلا في النادر ، وما ذاك إلا بمعرفته لتغيرات الفصول وأحكامها ، وطبيعة الاقليم وعلم الجو ، وبتجاربه الواسعة ، كما كان يفعل ذلك البدوي المخنك في بادية العرب قديماً ، والعالم الفلكي في المراصد الحديثة في هذا العصر .

فلم تكن كارثة استيلاء الصليبيين على القدس في القرن الخامس الهجري ، ولم تكن حادثة استيلاء التتار والمغول على بغداد ، ثم على العالم الإسلامي في القرن السابع ، من فلتات الدهر ، أو عثرات الجدود ، لا أول لها ولا آخر ، كصاعقة تنزل على قوم من غير أن يسبقها نذير ، أو كحوادث الحريق المفاجئة التي تحدث في بيت كبير ، أو حي من الاحياء ، بل بالعكس كانت هاتان الحادثتان الحلقة الاخيرة التي انتهت إليها سلسلة طويلة من الامراض الخلقية ، والانحرافات الطائشة ، والتصرفات الاثيمة ، والمغالطات المتصلة ، والاضاع غير الصالحة للبقاء في كل مكان وزمان ، وفوق كل ذلك حياة لا يرضاها الله ورسوله ، ولا يوافق عليها الدين الصحيح والعقل السليم . ومن قرأ كتب التاريخ ، والسير والتراجم ، والشعر والادب ، وما يلقى الضوء على أخبار ذلك المجتمع الذي وقعت فيه هذه الكارثة ، واتجاهاته وميوله ،



ككتب التاريخ ، التي قيدت فيها أخبار كل سنة ، وحوادثها  
الكبيرة ، وقرأ التاريخ الاجتماعي لبغداد في عصر سقوطها ، وقبل  
سقوطها - عرف أن زحف التتار الوحوش على بغداد ، وتخریبهم  
لها ، لم يكن خبط عشواء ، إنما هو تقدير العزيز العليم ، وحسبك  
أن تقرأ ما يقوله أبو الحسن الخزرجي في أهل بغداد قبل أن  
يستولي عليهم التتار :

« واهتموا بالاقطاعات والمكاسب ، واهملوا النظر في  
المصالح الكلية ، واشتغلوا بما لا يجوز من الأمور الدنيوية ،  
واشتد ظلم العمال ، واشتغلوا بتحصيل الاموال ، والمملك قد  
يدوم مع الكفر ، ولا يدوم مع الظلم » .<sup>(١)</sup>

وما يقوله قطب الدين الحنفي الهندي المكي يصف أهل  
بغداد في زمن المستعصم :

« ... مرفهون بلين المهاد ، ساكنون على شط بغداد ،  
في ظل ثخين ، وماء معين ، وفاكهة وشراب ، واجتماع احباب  
واصحاب ، فما كابدوا حرباً ، ولا دافعوا طعناً ولا ضرباً »<sup>(٢)</sup> .  
وكذلك من عرف الشرق العربي الإسلامي - الذي يسميه  
الاوربيون « الشرق الاوسط » أو « الشرق الادنى » عن كتب  
لا عن كتب ، وعاش فيه كأحد أبناءه ، وتقلب في عواصمه

١ - المسجد المسبوك .

٢ - الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٨٠ الطبعة الاوربية .



وبيئاته وطبقاته ، بين سنة ١٩٤٨ م وسنة ١٩٦٧ م ، ورأى تردد  
الحكومات العربية في سياستها ، وضعف إرادتها ، وخضوعها  
للدول الأوروبية الكبرى ، وارتباطها بإشاراتها ، ورأى أخلاق  
الرؤساء والقادة ، ومن بيدهم الحل والعقد ، ورأى إخلادهم إلى  
الراحة ، وإيثارهم للذة والمنفعة ، ورأى بصفة خاصة في مصر -  
التي كانت تتزعم العالم العربي ، وتقود الحركة الفكرية والادبية ،  
والعلمية والدينية ، - عبث الادباء والكتاب والموجهين  
بالأسس الدينية ، والقيم الخلقية والاجتماعية ، والمقررات التاريخية ،  
وتسخيرهم لطاقة الادب والاقلام ، لتقويض دعائم الحياة الصالحة ،  
والاخلاق الفاضلة ، وبعث فوضى فكرية ، لا معروف فيها ولا  
منكر ، ولا حق فيها ولا باطل ، إنها هي انتهازية وأبيقورية ،  
واقليمية وفرعونية ، وعامية وفرنجية ، وترويضهم لأدب يسميه  
القرآن : « زخرف القول غرورا » ، وحملتهم المنظمة لغرس  
الشك والإضطراب في العقائد ، والشذوذ في الاخلاق والميول ،  
والانحراف في الاذواق والطبائع ، والجنون في النفوس والقلوب ،  
والانفعالية في الإرادات والتصرفات ، والغرام بالتسلية والمتعة  
الرخيصة في أدق الساعات وأحلك الايام . ورأى إجحام العلماء  
وقادة الدين عن قول الحق ونقد الباطل ، والشهادة بالقسط . ورأى  
خضوعهم للمثل العليا الزائفة ، التي خضع لها عبادة المعادات  
والبطون من وجوب ارتفاع مستوى المعيشة ، وإرضاء الاهل  
والاسرة ، وتحقيق مطالبها ، ولو من غير حل . ورأى افتتان  
العامة ، والطبقات الكادحة بالملاهي ، والمعازف ، والاغاني ،



وبكل ما تتمتع به الاذن ، والعين ، والخيال ، والتقاء هذه الطبقات كلها - على اختلاف مستوياتها وثقافتها - على حب الحياة والكراهية للموت ، وبعدها عن كل مغامرة وإقدام ... من رأى ذلك كله ، وتحققه ، وعاش فيه ، جزم بأن هذه الشعوب لا تستطيع أن تحمل أقل صدمة تأتيها من الخارج ، ولا تستطيع أن تدافع عن دينها وشرفها ، ومقدساتها وكيانها .

وقد فاض ذلك على قلم بعض الكتاب الذين رزقهم الله حظاً من تدبر القرآن ومعرفة سنن الله ونواميسه ، وتجارب الامم . وعلى ألسنة بعض الخطباء الذين أنطقهم الله الذي أنطق كل شيء ، فتنبأوا بالنتيجة المحتومة لهذه الاوضاع ، وأنذروا قومهم ببدنوا الكارثة ، ولم تكن نبوة ولا كهانة ، ولم تكن عبقرية ولا المعية فائقة ، إنها هو استنتاج سليم ، وتوصل من الاسباب إلى المسببات ، ومن المبادئ والمقدمات ، إلى النتائج والغايات .

وقد كانت نكبة الخامس من حزيران ١٩٦٧ م قمة ما وصل إليه هذا الفساد الذي أشرنا إليه ، فتنبه لها كل أحد ، ورفعت الغشاوة عن كل عين ، وفزع لها العالم العربي ، والعالم الإسلامي فزعاً لم يفزع مثله لحادث منذ زمن طويل ، وقام عدد كبير من الكتاب والمؤلفين ، والمعنيين بالقضايا الإسلامية ، وواقع العالم الإسلامي يبحثون عن أسبابها ، والعوامل التي أدت إلى هذه النتيجة المشؤومة ، وسلكوا فيها طرائق قديماً ، ومناهج مختلفة ، وكادت تكون هذه البحوث والكتابات مكتبة جديدة يصعب استعراضها ، والإحاطة بها .



وقد سبق لمؤلف هذا الكتاب أن بحث في هذا الموضوع قبل وقوع هذه المأساة في شكلها النهائي بعدة سنين ، وجرت على قلمه وعلى لسانه بعض الحقائق التي تحققت فيما بعد ، لأن القضية لم تكن غامضة ولا ملتوية ، وإنما كانت تحتاج إلى شيء من التذوق بالقرآن ، وشيء من معرفة طبائع الأشياء ، والاطلاع على ما يجري في هذه المنطقة التي تقع عليها مسئولية الدفاع عن هذه القضية ، ثم وقعت الواقعة فجعلها موضوع تفكيره وبحثه وكتاباته ، وصدرت عن قلمه ولسانه عدة مقالات ومحاضرات نشرت في وقتها وتداولتها الأيدي ، والتزم أن يكون كل ذلك في ضوء القرآن والنواميس الإلهية ، والسنن الأزلية التي بينها القرآن ، وشهد بها تاريخ الأمم ، وأن يكون كل ذلك تصويراً للواقع الذي تعيش فيه هذه الأمة من غير مبالغة وصناعة ، ومن غير تفاؤل وتشاؤم . ويضع أصابع قادة الفكر والرأي على الأمراض الحقيقية ، ومواضع الضعف والعلة الاصلية في الشعوب والمجتمعات العربية والإسلامية ، وعلى علاجها الحاسم ، وهي تختلف في الزمان والمكان ، وتنقسم في مقال بالقلم ، وحديث باللسان ، وترتبط بينها وحدة جامعة ، وهي محاولة الاهتداء إلى الاسباب الحقيقية ، والإشارة إليهم ، والتحذير منها بصراحة ، لا غموض فيها ولا التباس ، ولا مدهانة فيها ولا نفاق .

وقد بدا للمؤلف أن يجمع هذه المقالات والمحاضرات كلها في مجموع واحد ، يسميه « المسامون وقضية فلسطين » ، وينشره للقاريء العربي الكريم ، عسى أن تكون فيه إنارة سبيل ، أو



إثارة جانب من جوانب التفكير، وحمل على استئناف السفر من جديد « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

ومعذرة إلى القاريء الكريم إذا وجد بعض المعاني واللفظات معادة مكرورة في عدد من المحاضرات ، وقد كانت البيئات التي تلقى فيها هذه المحاضرات تختلف وتتنوع ، فيقتضي المقام والزمان أن تتأثر هذه المعاني ، وأن تعاد هذه اللفظات من جديد ، وفي ذلك تقليد لأسلوب القرآن الكريم ، وتطبيق لأساليب الدعوة والإرشاد ، التي جرى عليها الدعاة والخطباء من الزمن القديم ، « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » .

ابو الحسن علي الحسيني الندوي

هـ ١٣٨٨/١١/١٨

دار عرفات

م ١٩٦٩/٢/٦

دائرة الشيخ علم الله الحسيني

رائى بريلى ( الهند )

يوم الخميس



Handwritten text in Urdu script, appearing as bleed-through from the reverse side of the page. The text is mostly illegible due to fading and bleed-through.

Handwritten text in Urdu script, appearing as bleed-through from the reverse side of the page.

Handwritten text in Urdu script, appearing as bleed-through from the reverse side of the page. The text is mostly illegible due to fading and bleed-through.



## التربية والأخلاق التي مهدت للنخازل في فلسطين

لم يزدد المسلمون إلا ضعفاً ، ولم تزدد أخلاقهم على مر الأيام إلا انحطاطاً وتدهوراً ، ولا أحوالهم وشؤونهم إلا فساداً ، حتى أصبحوا في فجر القرن الرابع عشر الهجري أمة جوفاء لا روح فيها ولا دم ، وكانوا كصرح عظيم من خشب منخور قائم لا يزال يؤوى الناس ويهول من بعيد ، أو كدوحة قد تأكلت جذورها ونخر جذعها العظيم ولم تنقلع بعد ، وأصبحت بلادهم مالا سائباً لا مانع له ، وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس ، وطعمة لكل آكل ، وحق قول النبي ﷺ :

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن ؟ قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » (١) .

واستمر المسلمون بهذا الحال وزيادة حتى أغارت عليهم في القرن

( ١ ) رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه .



الثامن عشر المسيحي الأمم الأوربية النصرانية الجاهلية ، المتحضرة  
الوحشية ، الكاسية العارية (١) فسلموها مفاتيح ملكهم ، واعتزلوا  
في مصلحتها عن قيادة العالم .

وقد بلغ المسلمون من الانحطاط الخلقى منزلة ، أن وجد فيهم  
أفراد خانوا أمتهم ، وشروا بلادهم للأجنبي بثمان بنجس دراهم  
معدودة ، وتطوعوا في جنود العدو يفتحون بلادهم للأجنبي على  
حسابهم .

ولكن هذا الهجوم الغربي كان أشد تأثيراً وأعمق أثراً ، وأبعد مدى  
من الهجوم الشرقي ( المغولي والتتاري ) ، فكاد يخذ كل جمرة في  
قلوبهم لم تخمدها العواصف طيلة هذه القرون ، وبقيت كامنة في  
الرماد تجبو مرة وتلتهب أخرى .

فتش عقلاؤهم عن منابع القوة الكامنة في نفوس المسلمين  
وقلوبهم ، فوجدوا أن أكبر منبع للقوة والحياة هو « الايمان » ،  
وشهدوا ما فعل الايمان قديماً ، وما أظهر من معجزات وخوارق ،  
وما هو خليق بأن يفعل ، فعادوه وسلطوا على المسلمين عدوين ،  
هما أفتك بهم وأضر بهم من المغول والتتار ، ومن الوباء الفاتك . .  
الأول : هو الشك وضعف اليقين الذي لا شيء أدعى للضعف  
والجبن منه ، والثاني : ما نعبه عنه بالذل النفسي ، وهو أن صار

---

( ١ ) المطلع على تاريخ حضارة هذه الأمم وطبيعتها يصدق هذه الصفات  
المتناقضة .



المسلمون يشعرون بالذل والهوان في داخل أنفسهم وفي أعماق قلوبهم ، ويزدرون بكل ما يتصل بهم من دين وتهذيب وأخلاق ، ويستحيون من أنفسهم ، ويؤمنون بفضل الأوربيين في كل شيء ، ويعتقدون فيهم كل خير ، ولا يكادون يعترفون بنقصهم وعيبهم في ناحية من نواحي الحياة ، ولا يصدقون بانزمامهم وفشلهم في ساعة من ساعات الدهر . وإذا تمكن هذا الذل من نفوس أمة فقد ماتت ، وان كنت تراها تغدو وتروح ، وتأكل وتعيش .

وابتلي المسلمون في هذه المرة - بتأثير الحضارة الغربية ، والفلسفة الغربية - بعبادة المادة وحب الدنيا ، والجري وراء النفع العاجل ، وتقديم المصالح الشخصية والمنافع المادية ، على المبادئ والأخلاق ، شأن الأمم الأوربية الجاهلية ، فكانت هذه الاخلاق وهذه النفسية والتربية مانعاً من الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته ، ومن تحمل المشاق وتجرع المرائر ، ومكابدة الأهوال والحسائر في سبيل المبدأ الصحيح والعقيدة السامية .

كانت نتيجة هذا كله أن ظهر جيل في المسلمين ، متنور الذهن ، ولكنه مظلم الروح ، أجوف القلب ، ضعيف اليقين ، قليل الدين ، قليل الصبر والجد ، ضعيف الإرادة والخلق ، يبيع دينه بدنياه ، وآجله بعاجله ، ويبيع أمته وبلاده بمنافعه الشخصية وبجاه وعزة وهمية ، ضعيف الثقة بنفسه وأمته ، عظيم الاتكال ، كثير الاستناد الى غيره .

( واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ) .



هؤلاء هم الذين نشروا في المسلمين الجبن والوهن ، وصرفوا  
المسلمين عن الإتكال على الله ، ثم الاعتماد على أنفسهم إلى الاعتماد  
على غيرهم ، والتكفف لديهم ، والالتجاء في مواقع الخطر اليهم .  
وأطفأوا في قلوبهم شعلة الجهاد في سبيل الله ، والحمية للدين ،  
وأبدلوها بالوطنية العلية ، والجنسية الناعسة ، وأبدلوا جنونها  
الذي بعث الحكمة من مرقدتها ، وأطلق العقل من إيساره ، والذي  
تمكن مما لم يتمكن منه العقل والعلم في آلاف من السنين ، أبدلوا  
هذا الجنون الحكيم بعقل ناقص عليل لا يعرف إلا الموانع  
والعراقيل .

وقد ظهر هذا التحول العظيم في العقيدة والنفسية ، والإفلاس  
في الروح والإيمان في شر مظاهره في حرب فلسطين ، فكانت  
فضيحة للعالم العربي في القرن الرابع عشر الهجري ، كما كان  
انكسار المسلمين وفشلهم الذريع أمام الزحف التتاري فضيحة للعالم  
الإسلامي في القرن السابع . فقد اجتمعت سبع دول عربية  
لتحارب الصهيونية ، وتدافع عن وطن عربي إسلامي مقدس ،  
عن القبلة الأولى وعن المسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال ، وعن  
جزيرة العرب والأقطار العربية التي أصبحت مهددة بالخطر  
الصهيوني ، فكانت حرب فلسطين دفاعاً عن حياة وشرف ، وعن  
دين وعقيدة ، وكان العالم العربي بأسره إزاء دويلة صغيرة لم تستقر  
بعد ، واتجهت الأنظار إلى مسرح فلسطين ، وانتظر الناس معركة  
مثل معركة اليرموك ، أو وقعة مثل وقعة حطين ، ولم اذا لا



ينتظرونها والامة هي الامة ، والعقيدة هي العقيدة مع زيادة  
فائقة في العدد والعدد ، فلماذا لا ينتصر العرب وهم عالم ؟ ولماذا لا  
يقضون على عدوهم وهو حفنة من المشركين ؟

ولكنهم نسوا ما فعلت الايام وما فعلت التربية ، وما فعلت  
الدول والزعامة السياسية ، وما فعلت المادية بالامة العربية في  
هذا العصر !

لقد تقدم العرب إلى معركة اليرموك حقاً ، ولكن بغير الايمان  
الذي تقدم به أسلافهم إلى هذه المعركة في العصر الأول .

لقد تقدموا إلى وقعة كانت وقعة حاسمة كحطين - لو ظفر  
العرب فيها ... ولكنهم تقدموا بغير الروح التي تقدم بها صلاح  
الدين وجنده المؤمن المجاهد .

تقدموا بقلوب خاوية تكره الموت ، وتحب الحياة ، وأهواء  
متشعبة ، وكلمة متفرقة ويريدون أن يربحوا النصر ولا يخسروا شيئاً ،  
وأن يحافظوا على شرفهم ولا يخاطروا بشيء . كل يعتقد أن غيره  
هو المسؤول عن الحرب وعن الغلبة والهزيمة ، ثم هم يقاتلون وحبلهم  
في يد غيرهم ، إذا أرخى قليلاً تقدموا ، وإذا جره تأخروا ، وإذا  
قال : حاربوا ، حاربوا . وإذا قيل : اصطلحوا . اصطلحوا . وما  
هكذا يكتب الظفر ويقهر العدو :

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل ما هكذا تورديا سعدُ الأبل  
وبقي العالم متطلعاً إلى ما قرأه في تاريخ الجهاد الإسلامي من



روائع الإيمان وخوارق الشجاعة والصبر ، والاستهانة بالحياة ،  
والبسالة والبطولة والاستقبال للموت ، والتمني للشهادة ، وحسن  
النظام ، وروح الإطاعة والايثار ، فلم ير من ذلك شيئاً ، إلا لمعات  
وإشراقات للإيمان ، كانت تظهر من بعض المتطوعين في حرب  
فلسطين والايخوان المجاهدين ، تجندوا وتطوعوا للحرب بدافع  
الإيمان ، والدفاع عن الاسلام ، وحملتهم الحمية الدينية على المغامرة ،  
ودفعتهم إلى ميدان الحرب ، فشفروا الدين وأرعبوا القلوب ،  
وأعادوا التاريخ القديم ، وبرهنوا على أن الإيمان لا يزال المنبع  
الفياض للقوة والنظام ، وأن عنده من القوة والنفوذ والتنظيم  
وروح المقاومة والجهاد ما ليس عند الدول الكبيرة المنظمة .

لقد ثبت مما ذكرناه في هذا الكتاب ، وما سردناه من الأمثلة  
والأخبار ، وشهادات التاريخ ومشاهدات هذا العصر - وما  
حرب فلسطين منا ببعيد - أن المد والجزر في تاريخ الاسلام  
وأحوال المسلمين تابعان للمد والجزر في الإيمان ، وقوة معنوياتهم  
التي تنبثق من الدين ، وأن منبع قوة هذه الأمة في باطنها ، وهو  
القلب والروح ، فإذا عمر القلب بالإيمان بالله ورسوله واليوم  
الآخر ، وتزكت الروح بتعاليم الدين والأخلاق الاسلامية ،  
وجاش الصدر بالحمية الدينية جيشان المرجل ، وأخذ المسلمون  
عدتهم من القوة المادية ، وأعدوا للعدو ما استطاعوا ، وأدر كوا ما  
عليه العالم من جور وظلم ومن جهالة وسفاهة وضلال في الدين  
والدنيا ، وعلموا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم جاء الاسلام ،  
والعالم قد عاد جاهلياً كما بدأ « ظهر الفساد في البر والبحر بما



كسبت أيدي الناس « فأشفقوا عليه، ورأوا كأن العالم في حريق  
ولا ماء إلا عندهم ، فسعوا به يطفئون النار التي عمت الدنيا ،  
ونسوا في سبيل ذلك لذاتهم وتكدر عيشتهم ، وطار نومهم ، وجن  
جنونهم ، فعند ذلك يتحولون قوة خارقة للعادة لا يغلبها العالم ،  
ولو سعى بأسره وجميع شعوبه وجنوده ودوله ، يصيرون قضاء  
الله الغالب وقدره المحتوم وكلمته العليا ، « ولقد سبقت كلمتنا  
لعبادنا المرسلين ، أنهم لهم المنصورون ، وأن جنودنا لهم  
الغالبون » « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم  
مؤمنين » (١)

---

( ١ ) مقتبس من رسالة المؤلف « المد والجزر في تاريخ الاسلام »  
طبع القاهرة ١٩٥١ م







## العوامل الأساسية لضياع قضية فلسطين

\* سادتي وإخواني :

وفدت الى الأقطار العربية العزيزة ، وقضية فلسطين هي شغلها الشاغل ، وحديث النوادي والمحافل ، وانها لجديرة باكثر من هذا . لأنها قضية الكرامة والشرف ، وقضية الايمان والعقيدة ، والفاصلة بين الموت والحياة . وقد ساهمت - كفرد من أفراد هذه الأمة العظيمة التي نكبت في فلسطين - في التفكير في هذه القضية ، والبحث عن أسباب الفشل العميقة الحقيقية ، ورجعت الى التاريخ فقارنت بين قضية فلسطين اليوم ، وبين المواقف الحاسمة في تاريخ هذه الأمة بالامس التي خرجت منها ظافرة منتصرة ، وتساءلت : ما هي المفارقات بين الماضي والحاضر ، وكم بين الاول والآخر ؟ فخرجت من هذا التفكير والدراسة بنتائج أعرضها عليكم أيها السادة كباحث ورائد ، واعتقد أن جامعة عربية كالجامعة السورية التي تكفل بإنشاء الجيل الجديد الذي سيواجه هذه المشكلة وجهاً

---

\* القيت هذه المحاضرة في مدرج الجامعة السورية بدمشق في التاسع عشر من شوال ١٣٧٠ - ١/٧/٢٣ م في اجتماع كبير حضره كبار علماء دمشق ، واساتذة الجامعة ، واعضاء المجلس النيابي ، وبعض السفراء والوزراء السابقين وقادة الفكر في البلد ، وعلق عليها الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله .



لوجه . . . أعتقد أنها خير مكان للبحث العلمي والتفكير العميق في هذه القضية .

اني أتقدم اليكم أيها السادة بقولي : إن النتائج التي توصلت اليها قد تثير العجب في أواسط كثيرة ، ولا تتفق مع ذلك المنهج الفكري وأسلوب البحث الذي تعودناه في هذا الموضوع ، ولكن أمانة التاريخ تدفعني الى أن أقدمها اليكم ، وأدعو الى النظر فيها ومعالجتها في اول فرصة .

أعتقد ، أيها السادة : أن أسباب نكبتنا أعمق وأبعد مدى من الاسباب التي يشير اليها الباحثون في هذا الموضوع ، واطول عمراً من قضية فلسطين نفسها . فقد سبقت تلك الاسباب هذه القضية بكثير ، وبدأت تفعل فعلها في كيان الامة من زمن بعيد ، وقد تم مفعولها في قضية فلسطين ، والذي انتبه لهذه العوامل الهدامة من قبل لم يفاجأ بالنتائج ولم يستغربها .

إني أرى علامة الاستفهام ترتسم على وجوهكم الكريمة فأقول من غير تأجيل مزيد : إن هذه الاسباب تتلخص عندي في ثلاثة وجوه :

(١) ضعف الدافع النفسي والباعث الداخلي الى الاستماتة والتفاني في سبيل العقيدة والمبدأ .

(٢) طغيان العقل على العاطفة ، والحذر من المغامرة واقتحام الاخطار .



(٣) فقدان الشخصية المركزية التي تملك القضية عليها  
مشاعرها وتفكيرها وتصبح همها الشاغل ، وتستولي عليها  
استيلاءً كاملاً .

واسمحوا لي الآن بشرح هذه الوجوه بالترتيب :

إن قانون الجاذبية معلوم عند الجميع ، هذا القانون الذي  
يقتضي ان يصل كل جسم الى مركزه ويهبط الى الاسفل ، ولكننا  
نرى قوى كثيرة تعارض هذا القانون وتثور عليه وترفع أجساماً  
كثيرة إلى الاعلى ، ولكن ينبغي لنا ان لا ننسى أن كل ما نرى  
خلاف ذلك ، هو لعارض يزول بزواله . فاذا تركت الاجسام  
والاثقال وشأنها ، هبطت الى مركزها وسقطت . كذلك النفوس  
أيها السادة ، فطرت على حب الحياة والراحة ، ولا تزال تؤثر  
الحياة ولا تعدل بها شيئاً ، وهي أسرع إليها من الماء الى الحدود  
حتى يأتي قاسر قوي فيحوّلها من مجراها الطبيعي ، فتصبح  
تؤثر شيئاً أعلى من الحياة على الحياة ، وتؤثر في سبيله المتاعب على  
الراحة ، والصعوبة على السهولة .

إن حب البقاء والخلود غريزة إنسانية لا تنفك عنا ، ولعلها  
أقوى الغرائز الانسانية وأوضحها . وقد فطن لها عدو الانسان  
الاقدم ورأى أنها أضعف جانب في طبيعة الانسان ، فضرب على  
هذا الوتر الحساس ، وقال لابي البشر : « هل أدلك على شجرة  
الخلد وملك لا يبلى » . وسرعان ما انقاد لها واندفع اليها .  
وليست المباني التاريخية الخالدة ، والآثار الباقية ، والاهرام



الشائخة إلا رمزاً لغريزة حب البقاء والخلود وتجاوباً لها، كما قال سيدنا  
هود لأمة: « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع  
لعلكم تخلدون » .

إن تاريخ الانسان - أيها السادة - قصة الجري وراء الحياة  
وأسبابها وحب البقاء والخلود، والبحث عن أسباب السعادة والهناء،  
والراحة والرخاء. وصراع مستمر وكفاح جار في سبيل الاستئثار  
بها والحصول عليها، ولكن تتخللها فترات، قد تطول وقد تقصر  
نرى فيها الانسان يندفع إلى غايات أخرى يهون عليه الموت في  
سبيلها، بل يطلبه ويجري وراءه، كما كان يطلب الحياة ويجري وراءها،  
ونرى فيها الناس يتهاكمون على الموت في سبيل هذه الغايات. كما يتهاقت  
الفراش على النور، ويتنافسون في أسبابه كما كانوا يتنافسون في  
الاموال والأولاد.

هذه هي الفترات وجدت فيها شخصيات مثلت للناس حقائق  
آمن بها الانسان كما آمن بالحياة من قبل وأحبها واندفع وراءها،  
كما أحب الحياة واندفع وراءها، بل أحبها فوق الحياة وأكثر  
من النفس والروح والاموال والأولاد، فاستهان بكل ذلك في  
سبيل هذه الحقائق. ومن المقرر أن الانسان لا يترك شيئاً الا لشيء  
أحب إليه منه وأعز لديه. فلا يستهين بالحياة ولا يضحى بالمال  
والولد الا لشيء أعز عليه من الحياة، وأحب إليه من المال  
والولد.

إن هذه الشخصيات تحدث انقلاباً في اتجاه الطبيعة البشرية،  
إنها توجه غريزة حب البقاء والخلود الى عالم أوسع من هذا العالم



الضيق ، والى حياة أجدر بهذا الانسان الطموح من هذه الحياة المقيدة المحدودة ، ولمثل المعاني الروحية والحقائق الغيبية ، فاذا هي أقوى سلطاناً وهيمنة على النفوس والارواح من اللذات والشهوات ، وأوضح واثبت من الماديات والمحسوسات . فيندفع آلاف من النفوس البشرية الى هذه الحقائق وهي في طي الغيب ووراء الحس والمشاهدة ، بايمان أقوى من إيمان المادي بالماديات ، وبيقين أشد من اليقين الذي يقوم على التجارب والمشاهدات ، وتكون أحرص على الموت في سبيلها من عبّاد الحياة على الحياة ، هذه هي شخصيات الأنبياء وهذه هي فترات النبوة والايان في التاريخ الانساني ، وهي لمعات مبعثرة على صفحات التاريخ ، تكتنفها ظلمات كثيفة طويلة .

واطول هذه الفترات أيها السادة ، وأعمقها أمراً هي الفترة التي انبثقت من بعثة سيدنا محمد العربي صلّى الله عليه وآله . هي الفترة التاريخية التي حدثت أعظم تحول في الاذواق والرغبات ، وأعظم انقلاب في الاتجاهات .

تعرف الناس بغايات أسمى وأعز من الحياة ، فاستهانوا بالحياة في سبيل الوصول إلى هذه الغايات كما يستهين الانسان بالخزف والحصى في سبيل الجواهر الغالية .

تعرف الناس فيها بحياة حقيقية خالدة ، حياة لا نهاية لها ، ولا حزن فيها ، ورأوا ان الشهادة قنطرة اليها ؛ فسارعوا الى عبور



هذه القنطرة ، وأحبوا كل ما يقرب اليها ، وكرهوا كل ما يبعد  
منها .

ثملوا بالشوق الى الجنة والحنين اليها حتى استطاعوا الحياة  
واستبطأوا الشهادة .

يقول الرسول ﷺ « قوموا الى جنة عرضها السموات الارض »  
فيرمي ( عمير بن الحمام الانصاري ) تمرات كان يأكلهن ويقول :  
« لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة » ويقاقل  
فيقتل .

ويبايع رجل من الاعراب ويقول للنبي ﷺ : « إتبعتك على  
ان أرمي ههنا بسهم - ويشير الى حلقه - فأموت فأدخل الجنة .  
ويلع ( عمرو بن الجموح ) وهو أعرج شديد العرج ، على أن يشهد  
الحرب ، فيمنعه بنوه ويريدون أن يكفوه ، ويقول له الرسول  
ﷺ : « أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد » . فيقول : والله  
إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ! ويقتل يوم  
احد شهيداً .

ويسري هذا الشوق الى الأحداث والغلمان الذين عرفوا بحب  
الله والراحة والفرار من الخطر . فهذا ( عمير بن أبي وقاص )  
يتوارى في الصفوف لئلا يراه النبي ﷺ فيرده لصغره ، ويراه أخوه  
الاكبر سعد بن أبي وقاص فيقول : ما لك يا أخي ، لاي شيء  
تتوارى ؟ فيقول : أخاف أن يردني رسول الله ﷺ فاني صغير ،



وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة ! ويقع ما يخافه عمير ،  
فيراه الرسول فيرده لصغره ، وهنا يلجأ الولد الى الشفيع القديم  
الذي لا يرد الكرام شفاعته - وهو البكاء - ويرق له رسول الله  
ﷺ - وهو الرقيق الرفيق - فيأذن له ، ويعلق له أخوه الاكبر السيف  
فاذا حممه اكبر من جسمه ، فيعقد فيه عقدة ويقاقل ويقتل شهيداً .

وهذا ( رافع بن خديج ) وهو دون الخامسة عشرة من سنه  
يتطاول من شدة الشوق ليظن الناس أنه كبير قد بلغ سن القتال ،  
ويرده رسول الله ﷺ فيشفع له الوالد الذي عرف من فجر التاريخ  
الانساني بالحرص على حياة الولد والضن بها . . يشفع له ويزفه الى  
ميدان القتال بيده . ويرى ذلك ( سمرة بن جندب ) من أترب  
رافع فيقول : كيف تردني يا رسول الله وقد أجزت رافعاً ولو  
صارته لصرخته ؟ . . فيأمر رسول الله ﷺ بالمصارعة فيصرع سمرة  
رافعاً ، ويسمح لهما بالدخول في صف المجاهدين .

هؤلاء هم الصغار الذين كانوا يتقدمون الى الحرب ويتحيلون  
للدخول فيها ويتنافسون فيها ، وأنتم أيها السادة المعلمون ويارجال  
التربية تعلمون كيف تستدرجون الصغار الى المدرسة وهي ليست  
ساحة القتال خصوصاً في هذا العصر الذي حرمت فيه التأديب  
الجسماني والعقاب المؤلم ، فما بال ساحة الحرب ! والولد العربي كان  
يعرف أن القتال جد لا هزل ، ولعب بالسيوف والرماح لا  
بالكرات والأعواد ؟ ! لقد درست التاريخ الانساني دراسة واسعة واسعة  
فهل عرفت في دور من أدواره أمثال هؤلاء الغلمان ، وأمثال اولئك



الشيوخ والشباب ، وهل وجدتم في عصر من عصوره هذا التنافس في القتال وهذه الاستهانة بالحياة ، وهذه الجسارة على الموت ؟؟

هذه هي القوة التي انتقلت الى العرب من تعاليم الرسالة ، فقهروا بها الامم ودوخوا بها العالم ، وفتحوا نصف المعمورة في نصف قرن ، واخضعوا بها أمماً لم تكن لتخضع للقوة الحربية .

فقد أخضعوا بها الرومان والفرس وهم يفوقونهم ألف مرة في العدد والعدد ، وأخضعوا بها البربر في الغرب ، والترك والأفغان في الشرق ، والزط والتكاكرة في السند ، وهي أمم لم تعرف الخضوع من زمن بعيد ، ولم تدن لفاتح من قرون ، ذلك لأن العرب كانوا يقاتلون وهمهم الشهادة ، وأما أعداؤهم فهمهم الحياة ، وشتان بين من يطلب الموت وبين من يطلب الحياة ، وبين من يسعى إلى الموت بقدميه وبين من يدفعه براحتيه ، وبين من يقاتل ليموت ويكرم بالشهادة ، وبين من يدافع ليعيش وينعم بالهناء والسعادة !

لذلك كان العرب منتصرين في كل معركة ، لأن من لا يبالي بالموت ينتصر دائماً على من يعبد الحياة ويقدها ويقيد نفسه بها .

لقد كان مصدر هذه القوة هو الإيمان أيها السادة ، الذي رفع النفوس من حضيض الشهوات والحرص على الحياة والعض عليها بالنواجذ والحذر من الموت ، إلى أوج طلب الشهادة ، والاستهانة بالحياة . لقد كان هذا الإيمان قد قهر في الغرب تلك الطبيعة



البشرية التي دائماً تحرص على الحياة وتعاف الموت وتنجذب إلى الراحة والسهولة .

إنحط العرب مع الزمان في هذه القوة المعنوية التي امتازوا بها عن سائر الأمم ، ودب إليهم داء الامم من قبلهم : الحرص على الحياة ، والإخلاق إلى الراحة ، والإسترسال في الشهوات ، وجنت عليهم المدنية العجمية فرزأتهم في فروسياتهم التي اشتهروا بها في الجاهلية والاسلام ، وتركوا حياة البساطة والجلادة التي كانت من كبار أنصارهم على الامم المريضة المسلوقة في القرن السادس المسيحي ، إلى حياة التمتع والبذخ والرقعة ، وهجمت عليهم في العهد الاخير الحضارة الغربية وفلسفة الحياة المادية ، فآكسبوا منها تقديساً للحياة ، وتقديراً زائداً للمادة ، وضعفت بتأثيرها الدوافع النفسية إلى المخاطرة بالحياة ، وإيثار الآجلة على العاجلة ، وما خلف هذا الايمان شيء يسمو بنفوسهم ويربط وحداتهم ، فأصبحوا لا إيمان يشعل قلوبهم ، ولا مبدأ جامع لجمع شملهم ، ولا غاية سامية تقهر شهواتهم وحرز انهم .

أما الامم المادية فان كانت قد أفلست في الايمان ، ولكنها تعوضت منه مباديء أخرى ، ومطامع وغايات ملكت عليها مشاعرها وتفكيرها ، وقهرت شهواتها ، وتغلبت على نزعاتها الفردية ، ووحدت أفرادها وجمعت شتاتها ، فأصبحت هذه الامم تستमित في سبيل هذه المباديء والغايات ، وتقاتل تحت رايتها ، وتنسى لها أحقادها وخلافاتها الداخلية ، وترتفع لاجلها عن



سفاسف الامور ، والانانيات الحقيرة ، والاغراض الخسيسة ،  
وتضحى في سبيلها بنفوسها ونفائسها ، وتسترخص في ذلك كل  
عزيز وغال ، وأصبحت هذه الغايات والمطامح - على علاقتها -  
إيماناً .

وعقيدة هذه الامم اكسبتها روحاً وقوة معنوية جديدة ،  
وهذا الايمان وإن كان لا يقاوم الايمان العميق الذي يقوم على تعاليم  
النبوءة ، ويتركز على فكرة الآخرة ، ويحل في قرارة النفس ،  
فانه لا محالة ينتصر بقوته وجدته على صورة الايمان المجردة عن الحياة  
والروح ، وان هذه الحياة - وإن كانت جاهلية غير مؤسسة على  
الايمان والتقوى - تنتصر بنظامها وتجردها على الحياة التي لا غاية  
لها ولا رسالة ... حياة الاغراض والشهوات ، حياة المنافسات  
والمنازعات ، حياة المطامع الفردية والطموح الشخصي ، حياة الضغائن  
والاحقاد ، حياة العشائر والافراد .

ليس النصر أيها السادة بالتفوق في الاسلحة والعتاد ، والبراعة  
في الاساليب الحربية ، وطرق الدعاية . إن النصر بالتفوق في الايمان  
بالمبادئ والغايات ، وتغلغلها في نفوس المحاربين ، والتضحية في  
سبيلها وفي قوة الدوافع النفسية والبواعث الداخلية إلى الحرب  
والموت في سبيل المبدأ والعقيدة ، وقد ضعفت هذه الدوافع النفسية  
إلى الجهاد والتضحية ، وذبلت أصولها في قلوبنا ، وانقطع عنها  
الغذاء والري من زمان ، فالمهم الالهم هو إيجاد هذه الدوافع  
وتغذيتها - إن وجدت - مهما كلفنا من ثمن وتعب . إن ضعف



هذه الدوافع النفسية أكبر خطراً في حياة الامة وأعظم خسارة لها، وزوالها كارثة أشد من كارثة الاندلس وفلسطين، فان وجودها كفيل باسترداد كل ما فقدناه في الماضي والحاضر - إذا وجد التوجيه الصحيح والقيادة القوية - أما إذا فقدنا هذه المحركات النفسية القوية النزوية التي أوجدها الرسول ﷺ بجهاده الطويل وتعاليمه النبوية، وتربيته الحكيمة، وشخصيته الفذة، فقد فقدنا رأس المال، وضيعنا مفتاح الحياة والقوة، وأصبحنا لا نأمن على الموجود فضلاً عن أن نطمع في المفقود.

ولا سبيل إلى إيجاد هذه الدوافع في ساحة القتال، أو في ساعة القتال، لأن القتال أوان الحصاد لا الزرع، فمن لم يزرع لم يحصد، وقد أهملناها وأهملنا أرض القلوب التي تنبت فيها من مدة طويلة، وكان كل اشتغالنا بالعقول والاجسام والمظاهر والكهاليات، وسمحوا لي أن أقول بصراحة: إن نظام التعليم عندنا لا ينخلو من التبعية والمسؤولية أيضاً، فانه ما زال يعتني بالمواد والمعلومات أكثر مما يعتني بالمحركات والغايات، وقد تبين أن تكديس المعلومات وتوفير الوسائل والآلات من غير المحركات الصحيحة والغايات الرشيدة يودي بالمجتمع والحضارة نهائياً إلى الانتحار، وتلك نقطة الضعف في الحضارة الأوروبية وداؤها العضال الذي سوف يودي بحياتها، وأخشى أن تكون نقطة الضعف وسبب الفشل في حياتنا كذلك، وما فلسطين إلا نذيراً لخطر شديد إن لم يتدارك.



وأتحدث اليكم الآن أيها السادة عن النقطة الثانية وهي :

### جناية العقل على العاطفة :

لا يستطيع أحد أن يقلل من قيمة العقل وأن ينكر فضله ، وأن يعارض الروية والاناة في قضايا الافراد ، فضلا عن الامم ، ولكن مع كل احترامي للعقل واعترافي بما له من فضل أتجاسر وأقول : لا بد لكل أمة من مغامرات ومخاطرات في بعض الاحيان ، وأن لا تعتمد على العقل وحده ، فان العقل - ومعدرتي إلى العقلاء - عرف من قديم الرمان بالتهييط والتخويف والتأجيل . فكم ثبط أقواماً عن المعالي ، وكم فعل فعل المكبرة في تضخيم الاخطار ، وكم أهجل الفتح والظفر ، وكم ضيع الفرص ، وفوت المغانم ؟ .

إن القلب له أن يستشير العقل ويستعين به ، ولكن يحسن في بعض الاحيان أن يستبد بالامر ويتملك الزمام . فلا خير في قلب لا يثور أبداً ولا يستبد ، وقدماً قال الشاعر :

### إنما العاجز من لا يستبد

إذا نظرنا في تاريخ العالم رأينا أن أكثر الفتوح والوقائع العظيمة التي لا تزال موضع العجب ، يرجع الفضل فيها إلى العاطفة وروح المغامرة . وأن جلال هذا التاريخ الذي يملأ قلوبنا إيماناً وحماسة وبهاء من هذه المغامرات ، لو تجرد تاريخنا عنها لكان بكتاب رباضي أشبه منه بكتاب تاريخ .



إن العاطفة التي تستمد قوتها من الايمان تبتديء حيث ينتهي العقل ، وتفعل ما يعجز عنه العقل . وإن العقل يتهمها بالجنون والجهل والتهور ، واكبتها خدمت العقل مراراً وأحسنت إلى العلم والحضارة أحياناً كثيرة ، فكم أغاثت العقل وهو ملهوف ، وكم حررتة وهو أسير ، وكم انتصرت له وهو مظالموم ، وكم أقامت دولة العلم ، وكم حمت الحضارة وأنقذتها من براثن الوحوش والهمج !.

إن صاحب الايمان القوي يمضي ويغامر وينفذ إرادته ، ويقوم العقل القاصر معوقاً مرهباً منذراً بسوء العاقبة ، فاذا نجح المؤمن في مغامرته وعاد منها ظافراً منتصراً ، عاد العقل فبرر فعله وأقام الف دليل على صحته !

إنكم لا تنسون العهد الاسلامي الاول ... إنقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الاعلى ، وقام أبو بكر الصديق بالخلافة ، وعظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة ، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة ، وأصبح المسلمون كما يقول ( عروة بن الزبير ) : كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ( ﷺ ) وقتهم وكثرة عدوهم . وأراد أبو بكر رضي الله تعالى عنه - والحال هذه - أن يبعث جيش ( أسامة ) إلى الشام تنفيذاً لرغبة رسول الله ( ﷺ ) ووصيته . هنالك قام العقل معارضاً وقال لا ! ليس من الرأي إقصاء هذا



الجيش المنظم الوحيد وعاصمة الاسلام بارزة للعدو ، عرضة للغزو والنهب . وقام أهل الرأي يقولون : إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك ، وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين ، وأبى أبو بكر إلا أن يجهز الجيش وقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لانفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته .

و كان ما أراد أبو بكر ، وخرج أسامة بجيشه ، والعقل مقطب جبينه ، عاض بنانه . فلما رجع أسامة ظافراً منتصراً وكان لخروجه أحسن الوقع ، غير العقل موقفه ، وها هو ذا يقول الآن في التاريخ : « كان خروج أسامة في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أوعبوا منهم ، وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه » (١) .

إن تاريخ العرب أيها السادة حافل بالمغامرات ، ولعل العرب أكثر الامم مغامرة ، وإن هذه المغامرات لها فضل في بناء هذه الحضارة التي نعم في ظلها العقل والعلم والانسانية .  
ومن أعظم هذه المغامرات وأشدّها خطراً في تاريخ الحروب سفر ( خالد بن الوليد ) بجيش كبير من العراق إلى الشام ،

١ - البداية والنهاية ، الكامل لابن الاثير .



والحالة تلك ، فساروا لا يمرون بحجى من أحياء العرب إلا اربعوا منهم ، وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة ، فكفروا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه « ( ١ )

إن تاريخ العرب أيها السادة حافل بالمغامرات ، ولعل العرب أكثر الامم مغامرة . وإن هذه المغامرات لها فضل في بناء هذه الحضارة التي نعم في ظلها العقل والعلم والانسانية .

ومن أعظم هذه المغامرات وأشدّها خطراً في تاريخ الحروب سفر ( خالد بن الوليد ) بجيش كبير من العراق الى الشام ، وقطعه لهذه المسافة الشاسعة المخوفة في خمسة أيام ، قال المؤرخون : ( كتب الصديق قبل اليرموك الى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق ، وأن يقفل بمن معه الى الشام . فسار مسرعاً في تسعة آلاف وخمس مائة . ودليله ( رافع بن عميرة الطائي ) ، وسلك به اراضي لم يسلكها قبله أحد ، واجتأب البراري والقفار ، وقطع الأودية وتصد على الجبال ، وسار في غير مهيع وفي مفاوز معطشة ، فلما فقدوا الماء نحرروا النوق فشربوا ما في اجوافها من الماء وسقاه الخيل ووصل في خمسة أيام ) .

ولا يزال اقتحام ( سعد بن أبي وقاص ) بالجيش الاسلامي في دجلة من أعظم المغامرات في تاريخ العالم ، قال المؤرخون : ( وقف سعد أمام المدائن ، ولم يجد شيئاً من السفن ، وتعذر

---

( ١ ) البداية والنهاية ، الكامل لابن الاثير



عليه تحصيل شيء منها بالكلية ، وقد زادت دجاة زيادة عظيمة  
واسود ماؤها ورمت بالزبد من كثرة الماء بها . فخطب سعد الناس  
على الشاطيء وقال : ألا إني قد عزمتم على قطع هذا البحر اليهم ،  
فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل ، ثم اقتحم بفرسه  
دجاة ، واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسرون  
على وجه الأرض ، حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء  
من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما  
يتحدثون على وجه الأرض ، فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء  
قالوا : « ديوانه ديوانه » يقولون : « مجانين ، مجانين » ثم قالوا :  
والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنأً . ( ١ )

ومن هذه المغامرات العظيمة ما فعله ( طارق بن زياد ) فاتح  
الاندلس . قال المؤرخون : لما نزل طارق بالجزيرة الخضراء أمر  
بالسفن فأحرقت ، فجاءه رجال من الجيش ولا موه على ما فعله  
وقلوا له : لقد قطعت بنا الجبال ، فكيف نرجع الى بلادنا ؟ إن  
عملك لا يقره العقل ولا يتفق مع الحكمة ، قالوا : فضحك طارق  
ووضع يده على السيف وقال : إنما يحافظ على السفن ووسائل النقل  
والسلامة من يفكر في الرجوع ، أما أنا فقد عزمتم على البقاء في  
هذا البلد ، والقتال إلى أن يكون لنا وطناً أو يكون لنا مدفنناً !  
وكانت مغامراته هذه من أكبر أسباب الظفر ، فقد استطاع بعد

---

( ١ ) البداية ج ٧ ص ٦ .



إحراق السفن أن يقول : « أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر » .

فأثار ذلك فيهم روح الجهاد والاستماتة ، وكان النصر ، وعلى أساس هذه المغامرة التي نظر اليها العقل شزراً قامت دولة العقل والعلم ، وقامت تلك المدنية الزاهرة التي كانت مفخرة العرب ومدرسة الغرب .

هذا ومغامرة ( عبد الرحمن الداخل ) صقر قريش في الدخول في الأندلس ، ومغامرات الرشيد في الصائفات وسفره الشهير من بغداد إلى ( هرقله ) في أشد أيام البرد وتأديبه ( نقفور ) . وغزوات ( المعتصم ) في بلاد الروم معروفة في التاريخ ، وما « يوم حليلة بسر » .

هذه هي روح المغامرة التي امتاز بها العرب في عهدهم الأول عن الأمم التي فقدتها ، وقعد بها الإسراف في التفكير والحذر من المخاوف ، فجبت وذلت وفقدت ملكها وشرفها ، واكتسحتها الفتوح العربية ، وعصفت بها ، فأصبحت أثراً بعد عين ، وعاد العرب في العهد الأخير فتسلط عليهم العقل المثبط ، والعلم المعوق ، وأحجموا عن الإقدام والافتحام ، وبالعكس تعلم غيرهم كيف ينظرون بحياتهم ، وكيف ينتهزون الفرص ، وتاريخ الحروب الأخيرة في أوروبا ، وتاريخ الإحتلال الأوربي في الشرق في القرن التاسع عشر حافل بالمغامرات والخطوات الجريئة والإقدامات السريعة ، ولا يغير هذه الأوضاع القائمة في الشرق العربي إلا أن



يربي العرب فيهم - مع الحكمة التي لا بد منها - روح المغامرة  
الاولى ، وسرعة التنفيذ ، وجرأة الإقدام ، ويعملوا بقول شاعرهم  
الذي يقول :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

ونكتب عن ذكر العواقب جانباً

إن قضية فلسطين سهلة هينة ، وانتصار العرب مضمون إذا  
كانوا أحراراً في تصرفهم ، مالكين لزماتهم ، مدبرين لسياستهم ،  
مغامرين بأرواحهم وجنودهم . محكمين لسيفهم وسانهم ، واثقين  
بنصر الله ، معتمدين على سواعدهم فقط ، متمردين على المادة  
والشهوات ، مصممين على الكفاح والجهاد .

وبقيت النقطة الاخيرة وهي النقطة الحساسة في قضايانا الملتوية  
ومشاكلنا المتعقدة، وهي :

فقدان الشخصية التي تملك القضية عليها مشاعرنا وتفكيرنا  
وتصبح همها الشاغل وتستولي عليها استيلاء كاملاً :

لقد تبعت - أيها السادة - التاريخ ، واستعرضت المواقف  
الحاسمة والساعات العصبية في تاريخ هذه الامة وفي التاريخ  
العام ، فرأيت على رأس كل قضية منها وفي كل أزمة ومحنة  
تهدد كيان هذه الامة وتتحدى شرفها وكرامتها ، رجلاً من  
العصاميين يستولي على قلبه الحزن والاهتمام بهذه الحالة ، فيذهل  
عن نفسه وأهله ، ويهجر راحته ولذته ، وتتلخص الحياة عنده في



حل هذه الازمة ، وفض هذه المشكلة فلا يقر له قرار ، ولا يهدأ له بال حتى تنجلي هذه الغمرة ، ويرى نفسه مكلفاً بذلك ، خلق له وأمر به ، ولا يرى لنفسه عذراً في الاعتزال والانصراف إلى النفس والعيال ، واليكم بعض الامثلة من تاريخنا :

لقد علمتم ما أصاب المسلمين همماً إثر وفاة الرسول ﷺ من المحن فقد أصيبوا بما لم تصب به أمة أو جماعة في فجر حياتها. وأشرفت الدعوة الإسلامية على الضياع .. حسبكم قول عروة بن الزبير : « إن المسلمين كانوا كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية » ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قبض لهذه المحنة أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فقام قيام الانبياء وليس بنبي ، وركز فكره وهمه على حراسة هذا التراث العظيم ورد الامر إلى نصابه ، وأفرغ روحه في ذلك ، وملكته هذه الفكرة حتى نسي نفسه وكل ما عدا ذلك ، وكان رجلاً غير الرجل .

لقد عرف بالرفق الزائد ، وآثر جانب اللين دائماً على جانب الشدة والعنف ، فتصلب وخشن في هذه المرة حتى فاق في ذلك عمر بن الخطاب المعروف بالشددة والصلابة ، لأن الموقف يتطلب ذلك .

رأى أبو بكر أنه القائم على هذه الأمانة العظيمة والمسؤول عنها ، ففاضت على شفته تلك الكلمة البليغة الماثورة التي تمثل نفسيته وشعوره خير تمثيل : « أينقص الدين وأنا حي ؟ » وبهذه الغيرة الملتهبة ، والقلب المتألم ، والنفس الأبية استطاع أبو بكر أن يحفظ



الدين ويورثه الاجيال القادمة كاملا غير منقوص .

قالت عائشة رضي الله عنها « لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق، والله لقد نزل بأبي مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها . وصار اصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة » ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بنخطمها وعنانها وفصلها . لذلك يقول ابو هريرة بحق : « والله الذي لا اله الا هو ، لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله . . . . . قالها ثلاثاً » . وأضرب لكم مثلاً ثانياً من أوساط الناس نعرفهم كملوك ورجال دنيا :

تدفقت الجيوش الصليبية من اوربا ، واكتسحت فلسطين بما فيها من أمارات مقدسات ، وكانت كالجراد المنتشر ، ولم يقف في طريقها ملك ولا جيش ، وعجزت الحكومات الاسلامية عن مقاومتها فاستولت على البلاد والعباد ، وهددت هذه الأمة العظيمة وحضارتها ، وكان الخطب جسيماً ، ووقف العالم الاسلامي على مفترق الطرق ، فلو جرت الامور إلى مجاريها لكان فريسة الاحتلال والاستعمار في القرن السادس كما كان في القرن التاسع عشر ، وكان الامر أعظم من أن يقوم له ملوك وقواد يكون الدفاع عن القدس واستقلال العالم الاسلامي بعض همومهم أو من هوامش حياتهم . إنما كان ينبغي له رجل يكون الامر كل همه . كان ذلك الرجل السلطان صلاح الدين الايوبي الذي اختاره الله لهذه المهمة وهياً هو نفسه لها .

فقد حكى عنه صاحبه القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد



المتوفى سنة ٦٣٢ هـ « أنه تاب عن المحرمات وترك المذات ، ورأى  
ان الله سبحانه وتعالى خلقه لامر عظيم لا يتفق معه اللهو  
والترف » .

قام صلاح الدين للدفاع عن فلسطين ورد الغارة الصليبية ،  
وركز فكره عليه ، وتفرغ له ، واستولت عليه هذه الفكرة  
استيلاء تاماً حتى لم تدع لغيرها موضعاً . واليكم ما قاله ابن شداد  
في سيرته :

« ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه  
وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا  
نظر الا في آله ، ولا كان له اهتمام إلا برجاله ، ولا ميل إلا  
إلى من يذكره ويحث عليه . ولقد دجر في محبة الجهاد في سبيل  
الله أهله واولاده ، ووطنه سكنه وسائر بلاده ، وقنع من  
الدنيا بالسكون في ظل خيمته تهبها الرياح ميمنة وميسرة .  
وكان الرجل اذا اراد ان يتقرب اليه يحثه على الجهاد »<sup>(١)</sup> .

وقد حمل السلطان هم القدس فأخذ منه كل مأخذ وحل في  
قرارة نفسه . قال ابن شداد :

« وكان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله  
الجبال »<sup>(٢)</sup> .

١ - النوادر السلطانية والنحاسن اليوسفية ص ١٦ .

٢ - أيضاً ص ٢١٣ .



ومها حاولت أيها السادة أن أصف هذا الهم الذي استولى على  
صلاح الدين وأصور ما كان فيه من قلق وإزعاج دائم ، وشدة  
اهتمام باسترداد البلاد وتحرير القدس ، ورد الأوربيين على أعقابهم لا  
استطيع أن أزيد على وصف ابن الشدادلة بالوالدة الثكلي ، ولا  
استطيع أن آتي بتعبير أبلغ وأدق من هذا ، يقول رحمه الله في  
وقعة عكا :

« وهو ( السلطان ) كالوالدة الثكلي . يجول في فرسه من  
طلب الى طلب ، ويحث الناس على الجهاد ، ويطوف بين  
الاطلاب بنفسه ، وينادي بالاسلام وعيناه تذر فان الدموع ،  
وكلما نظر الى عكا ، ومما حل بها من البلاء وما يجري على  
ساكنيها من المصاب العظيم . اشتد في الزحف والحث على القتال ،  
ولم يطعم في ذلك اليوم طعاما البتة ، وإنما شرب اقـداح  
مشروب كان يشير بها الطبيب (١) » .

ويقول في فتح الطريق الى عكة :

« والسلطان يوالي هذه الامور بنفسه . ويكافحها بذاته لا  
يتخلف عن مقام من هذه المقامات وهو من شدة حرصه ووفور همته  
كالوالدة الثكلي . ولقد أخبرني بعض أطبائه أنه بقي من يوم  
الجمعة الى الاحد لم يتناول من الغذاء الا شيئاً يسيراً لفرط اهتمامه (٢) »  
وقال في ذكر الواقعة العادلية :

١ - ص ١٥٥ ٢ - ص ٩٠



« لقد رأيت رحمة الله قد ركب من خيمته وحوله نفر يسير من  
خواصه، والناس لم يتم ركوبهم ، وهو كالفارقة ولدها الثاكلة  
واحدها (١) » .

بهذا الهم الشاغل ، والنفس القلقة ، والقلب المنزعج استطاع صلاح  
الدين أن يكمل مهمته ، ويكتسب الفتح المبين في معركة حطين .  
وما كان اجتماع الجيوش عنده والتفاف لامراء . الا صدى لقلبه  
الخفاق وإيمانه الفياض ، وصدره الجائش ، وروحه الملتهبة ، ولا  
ترون انتصاراً باهراً في التاريخ ، ومعركة حاسمة إلا ومن ورائها  
قلب يخفق ، وعرق ينبض ، وليث يثور ، وشجاع يغضب .

إن موضع الضعف في جهادنا اننا لا نجد في الشعوب العربية  
والحكومات والأفراد من يتبنى هذه القضية ويتجرد لها تجرد  
رجل مرض وحيده ، أو قامت عليه قضية ، فاذا تهاوت في  
الدفاع عوقب عقاباً شديداً ، وعلامة ذلك أيها السادة وجود  
هذه الحزازات والنزعات والمنافسات بين الحكومات والأحزاب  
والأفراد ، ومعركة فلسطين قائمة ، والعدو بالمرصاد . فهل سمعتم  
بأسرة يمرض عزيزها أو عميدها ، ويشتد به المرض ويتعرض  
للموت ورجال هذه الأسرة من أخوة وأعمام وأخوال يتنازعون في  
العيادة أو السيادة ، ويتشاغلون بذلك عن علاجه وتمريره ؟ .. إن



دلت هذه الظاهرة على شيء فانها تدل على عدم تعلق قلوبهم بالمرريض  
أو موت الإنسانية فيهم .

إن مسؤولية فلسطين قد قسمت على شعوب كثيرة ولكن  
لا يرى شعب أنه أولى بهذه القضية من غيره، مع أنها قضية الجميع  
وكل بلد عربي في خطر إذا قصر فيها أو تهاون . ثم إن الديمقراطية  
قسمت المسؤولية على الشعب كله ، ولكن لم يضطلع بها أحد فهي  
ضائعة بين أفراد الشعب والرؤساء ، لا يرى أحد نفسه مسؤولاً  
عنها ولا يراها قضيته الشخصية .

ولكن مهما كان فلا داعي إلى اليأس ، ولا مجال للتشاؤم .  
فالمنبع الذي تنبع منه الدوافع النفسية والبواعث الداخلية — وهو  
الإيمان — لم ينضب في صدر الأمة ، ويمكن إثارته في كل وقت ،  
وإن العاطفة التي تبعث على المغامرات لا تزال قوية تنتظر  
الإنطلاق ، وإن الأمة لم تصب بالعقم ، وقد أنجبت في كل  
حنة وأزمة أفراداً واجهوا المشكلة وجاءوا بالعجب العجاب ،  
وعسى أن تكون فلسطين سبب بعث جديد لهذه الأمة ، ويقظة  
عامة للشرق العربي .

وأنا أختم حديثي هذا أيها السادة بترجمة أبيات لشاعرنا العظيم  
الدكتور محمد إقبال الذي يقول :

« إذا رأيت النجوم شاحبة متكدرة تحقق ، فاعلم أن



الفجر قريب . ها هي ذي الشمس قد ذر قرنبا من الافق وولى  
الليل على أدباره . إن عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى  
الاسلام ، فإنما تكون الآليء في البحر المتلاطم الهائج ، لقد  
دب دبيب الحياة في الشرق ، وجرى الدم الفائر في عروقه  
الميتة ، وذلك سر لا يفهمه ابن سينا والفارابي ، إن إقبال  
ليس يائساً من تربته الحقيرة فإنها إذا سقيت أنت بحاصل  
كبير .



في هذا الكتاب من الامور التي لا بد من معرفتها  
على من يتولى تدبير شئون الدولة  
من جهة معرفة القوانين التي تحكمها  
والمبادئ التي تقوم عليها  
والمسؤوليات التي تقع على عاتقها  
والمشاكل التي تواجهها  
والمساعي التي تبذلها  
والمشروعات التي تنفذها  
والمشروعات التي تخطط لها  
والمشروعات التي تدرسها  
والمشروعات التي تخطط لها  
والمشروعات التي تدرسها



## كآارثة العالم العربى وأسبابها الحقيفة

أصبح المسلمون فى ٢٩ - من صفر ١٣٨٧ من الهجرة ( ٩ - من حزيران ( June ) ١٩٦٧ م ) فى كل بقعة من بقاع الارض التى يسكنونها ، لا يرفعون رؤوسهم حياءً ، ولا يواجهون مواطنيهم وجيرانهم فى الشوارع والطرق والمخافل ، ذلة ومهانة .

قد خنقتهم العبرات ، فهم يغالبونها ، فقد جثمت إسرائيل على مراكز هامة استراتيجية من بلادهم العربية المقدسة ، واستولت على مدن من أرضهم .

وأدهى من كل ذلك وأمر ، أن اليهود قد استولوا على القبلة الاولى ، وثالث الحرمين الشريفين ، والمسجد الاقصى المبارك الذى كان منه الإسراء ، وكان ذلك لأول مرة فى ألفى سنة باعتراف ربهم الاكبر ، وكان أول يوم لم يصل فيه المسلمون الجمعة فى المسجد الاقصى فى ثمانية قرون ، بعد ما استعادته صلاح الدين الايوبي من الصليبيين ، وقد بقي فى حكمهم تسعين سنة فقط ، لم يهنا المسلمون عيشاً فى هذه المدة ، ولم يطب لهم طعام وشراب ، حتى استردوه إلى الولاية الاسلامية العادلة ، ووصايتها الرحيمة السمحة .



فكانت هذه الجمعة ( ٢٩ - صفر ١٣٨٧ هـ ) - والجمعة مباركة  
في التقويم الاسلامي - يوماً مشؤوماً لم يعرف المسلمون في أنحاء  
العالم يوماً أسأم منه منذ قرون . ففي كل عين دمعة ، وفي كل  
صوت حزن وشجى ، وفي كل بيت حداد وماتم ، وفي كل مجلس  
عزاء وورثاء .

هذا ، وقد كانت النفوس الجريجة يساورها أمل في بقاء  
الصراع والكفاح ، وطول الحرب . فقد تنبأ الخبراء الاجانب ،  
وأهل البصر بالموقع الجغرافي ، أن الحرب إذا طالت أياماً ، وثبت  
العرب في المعركة فانها ستتهك قوى اليهود ، وتلجئها إلى أن  
تضع السلاح .

وكانت الدول العربية القريبة والبعيدة ، تضم قواتها إلى  
الحكومات التي كانت قد حملت مسؤولية الحرب ، والامل تعلقة  
كل جريح ومريض ، فكان بصيصاً من نور وبريقاً من حياة  
يجسمه التفاؤل .

وقد انقطع هذا الخيط الضعيف ، وخذ هذا المصباح الضئيل ،  
فقد قبلت « الجمهورية العربية المتحدة » - زعيمة المعركة وممثلة  
العرب - وقف إطلاق النار من غير شرط ، ووقعت الهدنة ،  
ووقع ذلك في سرعة أسطورية ، وبراعة تمثيلية ، ووقف العالم  
الاسلامي ذاهلاً مشدوهاً ، مكتوف اليدين ، مسلوب الارادة ، فان



أصحاب القضية الذين كانوا في المعركة ، والذين حملوا وأبتهما ، وتولوا  
كبرها ، قد قبلوا الصلح .

وأصبح المسلمون من غد ، لهم وجوه غير وجوههم بالأمس ،  
وأصبح مواطنوهم الشامتون وزملاؤهم في المكاتب والمصانع  
يتندرون بهم وبالحكومات العربية ، وباخوانهم في الدين .

فمنهم من يقول : « لقد استسمننا ذا ورم » ومنهم من يقول :  
« كنا نسمع من سنين جعجعة ولم نر طحنناً » ومنهم العامي اللاذع  
الذي يقول : « تمخض الجبل فولد فأراً » .

والمسلمون يسمعون كل هذا في خجل وحياء ، والعهد بهم أنهم  
يقرعون الحجّة بالحجّة ، ويقابلون الريح بالاعصار ، وهم أصحاب  
بديهة وعارضة ، ولكن يخونهم الذكاء وذلاقة اللسان في هذا الموقف ،  
ففيه ضعف وعجز ، فينشد الواحد منهم بلسان الشاعر العربي القديم  
عمرو بن معدي كرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم  
نطقت ، ولكن الرماح أجرت

ولم تكن القضية قضية شخصية ، يسقط فيها قائد ، ويخفق  
فيها زعيم ، فما أهون هذه القضية ، وما أكثر أمثالها في تاريخ  
الأمم والحكومات ، وفي تاريخ الأمة الإسلامية نفسها ، ولكن  
اقتربت بهذه القضية قضية الحكومات العربية ، وتلوث بهذا  
الاخفاق الذريع « اسم العرب » الذي كان يملأ القلوب مهابة



ورعباً في ديار العجم ، والذي ارتبط به تاريخ مجيد مشرق من  
أروع التواريخ الانسانية .

كان المسلمون في جميع أنحاء العالم يستمدون منه الايمان والحماس  
ويعتمد عليه المصلحون والمجددون ، والخطباء والمؤلفون ، والادباء  
والمنشئون في كل جيل وعصر ، في إثارة الشعور ، وإيقاد جمرات  
القلوب أكبر اعتماد .

فقد أساءت هذه النهاية المخزية إلى كرامة هذا التاريخ ، وإلى  
منبع هذا الحماس إساءة كبيرة ، وخلقت مشكلة طريفة لهؤلاء  
الدعاة والعاملين ، سينتظرون أياماً طويلة لاندمال هذا الجرح ،  
وزوال هذا الانطباع .

ويحار العقل في تعليل هذه الهزيمة المنكرة وأسبابها ، إذا  
استعرض الموقع الجغرافي ، وقارن بين ما يملكه العرب من وسائل  
وقوات ، ورأى التفاوت العظيم المدهش في عدد النفوس ووصول  
الامداد والنجدة .

فاذا فكر في ذلك ، رجع الفكر خائباً وهو حسير ، ولم ير  
لذلك مثيلاً في تاريخ الامة الاسلامية ، إلا حين هجم التتار - وهم  
الجراد المنتشر والسيل المنهمر - على الامبراطورية الاسلامية  
الكبرى ، وقذف الله الرعب في قلوب المسلمين ، وسلط هؤلاء  
الوحوش عليهم ، يصدونهم حصداً كالحقول ، ويسوقونهم سوقاً  
كالقطعان من الغنم والضأن .



ولا يمكن تعليل كل ذلك مهما دققنا في النقد والتحليل ، إلا  
بكلمة جامعة قرآنية معجزة ، هي « الخذلان » وهو قوله تعالى :  
« إن ينصركم الله فلا غالب لكم . وإن يخذلكم فمخذلون » (١) .  
ينصركم من بعده ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٢) .

ولماذا كان هذا الخذلان بعد ما واكبهم النصر والتأييد الالهي  
ومشى في ركابهم الفتح في رحلتهم الطويلة ، وظهرت المعجزات ،  
ونزلت جنود السماء ، حتى اعتقد المسلمون - وفي مقدمتهم وعلى  
رأسهم العرب - أن النصر حليفهم في كل معركة ، وقضية فلسطين  
والمسجد الاقصى ، هي قضية حق وعدل ، وعقل ومنطق ،  
تستحق كل نصر وتأيد من الارض والسماء ، ودولة إسرائيل  
قامت على الظلم والجريمة ، والاعتصاب والمكابرة ، واليهود هم أذل  
خلق الله ، وأكثرهم جبناً وخنوعاً ، وسكان هذه الدولة الوليدة  
خليط من البشر ، شذاذ أفاقون ، أحاطت بهم الدول العربية إحاطة  
السوار بالمعصم ، والقلادة بالجيد ، فهي جزيرة صغيرة في بحر واسع  
هائج ، وقد قال الله تعالى : « ضربت عليهم الذلة والمسكنة  
وباءوا بغضب من الله » (٢) ؟ ! واليك الحقيقة المؤلمة الثقيلة .

لقد كان العرب الامة المختارة لحمل الرسالة الاسلامية الاولى

---

١ - آل عمران .

٢ - سورة البقرة .



ونشرها في الآفاق ، وحراستها والحذب عليها ، إلى أن يرث الله  
الارض ومن عليها ، وقد ربط الله مصيرهم بمصير الاسلام ، وبيعة  
محمد عليه الصلاة والسلام ، وقرن بينها قراناً لا يقطعه شيء ، وقد  
أشعل قلوبهم حماساً في سبيل نشر تعاليم الاسلام ، ودعوة الامم  
اليها ، وإنقاذها من براثن الجاهلية .

وقد كانت لاختلافهم ومواهبهم التي خصوا بها من بين الامم ،  
والتي غذاها ونماها الاسلام ووجهها التوجيه الصحيح فضل كبير في  
انتصارهم على عدوهم ، الذي كان يفوقهم عشرات المرات ، وفي  
تخطيمهم للامبراطوريتين العظيمتين - الرومية والايروانية - منها  
الايمان الراسخ ، والوفاء للاسلام ، والاستماتة في سبيله ، ومنها  
الايثار ، والانسلاخ عن الانانية الفردية ، ومنها العفة والزهد والتقشف  
في الحياة ، والصبر وقوة الاحتمال ، ومنها الاعتماد على العمل  
والكفاح أكثر من الحديث والكلام ، و « الواقعية » بدل  
الاسترسال في الاوهام والاحلام .

وقد جد في العالم العربي في الدور الاخير حوادث وتطورات  
قوضت دعائم هذه الحياة ، وأركان هذا الخلق العربي الاسلامي ،  
وخلقت من هذا العالم الذي عجنت طينته بالاسلام ، وحبه والوفاء  
له ، والتفاني في سبيله عالماً جديداً ، يختلف عن العالم القديم اختلافاً  
جذرياً ، وأهم هذه العوامل التي غيرت اتجاهه ثلاثة عوامل بحسب  
الترتيب التاريخي :

العامل الأول : الحضارة الغربية ، والثروة الهائلة التي تدفقت



عليه ، وقد أثرت هذه الحضارة وهذه الثروة في أخلاق هذه الأمة  
العسكرية بالطبيعة والتاريخ ، والمتقشفة الزاهدة ، بحكم الرسالة  
والوراثة ، تأثيراً عميقاً ، قلبها رأساً على عقب .  
فتفتت فيها روح التنعم والرقعة ، والترف ، والاخلاد إلى  
الراحة ، وفقدت روح الفروسية ، والفتوة العربية ، والنخوة ،  
والصبر على المكاره ، واحتمال المصائب ، والثبات في معركة الحياة ،  
واستهان الناس بأحكام الله وفرائضه ، وتجرأوا على المحارم ،  
ووقعوا في حمى الله .

وأخل العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،  
وتركوا الحسبة على الناس ، وكلمة حق عند سلطان جائر .

وانتشرت المجلات والصحف الماجنة الخليعة تنشر المجون  
والخلاعة ، وتبذر بذور الفساد والاحاد ، وتحب أن تشيع الفاحشة  
في الدين آمنوا .

واكتسحت المجتمع موجة من التمتع باللذات ، وانتهاب  
المسرات ، وترفيه النفس وتسليتها على حساب الأخلاق والضائر ،  
وعلى حساب الشرائع والديانات .

حتى أصبح بعض من يعرف قانون المجازاة الالهي ، ويعرف  
تاريخ الأمم السابقة البائدة ، يرفع بصره إلى السماء ، خشية أن  
تنزل عقوبة أو يحل بلاء : (١) ويتلو قوله تعالى :

١ - حدثني بعض علماء مصر ، وأهل الغيرة بذلك عن أنفسهم .



« أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ،  
أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا  
مكر الله ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » (١) .

**والعامل الثاني :** هو ظهور « القومية العربية » التي كان لها  
أعمق تأثير في حياة الأمة العربية وعواطفها ومشاعرها بعد الحرب  
العالمية الأولى ، فقد قويت هذه العصبية على حساب العصبية  
الاسلامية ، وأصبحت ديانة وعقيدة يتغنى بها القوميون ،  
ويتحمسون لها كما يتحمس أهل الديانات والممل للدياناتهم  
وشرائعهم ، ويرون فيها عوضاً وخلفاً عن الدين الاسلامي  
الذي أكرمهم الله بالايمان به ، والانتصار له ، والتفاني في  
صيله .

يتمثل ذلك بعض التمثيل - في عبارات التقطناها على عجل من  
كتابات بعض كبار كتاب العرب ، وهي تقدم أسلوب الفكر  
الحديث المسيطر على دعاة القومية العربية :

« العروبة نفسها دين عندنا نحن « القوميين العرب » المؤمنين  
العريقين من مسلمين ومسيحيين ، لأنها وجدت قبل الاسلام  
وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا ، مع دعوتها - أي العروبة -  
إلى اسمى ما في الأديان السماوية من اخلاق ومعاملات وفضائل  
وحسنات » (٢)

١ - سورة الاعراف .

٢ - مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب « قضية العرب » لعلي ناصر الدين ،

هامش ص ١٣٨ .



« لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، إن القومية العربية  
لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي » .

ورسالة هذه النبوة هي : تجميع القوة ، وتكتيل الجبهة ،  
والانطلاقة بالطاقة البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب  
الحياة .

وأن كتاب العرب في أعناقهم أمانة ، هي أن يكونوا  
حواريين لتلك النبوة الصادقة ، يزكونها بأقلامهم وينفخون فيها  
من أرواحهم ، ويعملون على أن تتكثل لها أسباب النماء  
والازدهار « (١) .

« الوحدة العربية يجب ان تنزل من قلوب العرب اينما كانوا  
منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين » (٢) .

« ( القضية العربية لن تكون أبداً عند العربي المؤمن الحر  
العاقل ، الشريف ، الصالح ، الخير ، الابي المترفع ، إلا قضية  
إيمان ، إيمان بالوطن للوطن ، كقضية الايمان بالله الله ليس  
غير » (٣) .

وقد نشأ بذلك عقوق بنعمة الاسلام ، وكنود و كفران

---

١ - مقال الامتاز محمود تيمور في مجلة « العالم العربي » عدد : ١٧١  
بعنوان « النثر والقومية العربية » .

٢ - مجلة العربي العدد الثاني ص ٩ يناير ١٩٥٩ .

٣ - مقدمة الطبعة الثانية ص ١٩ .



بحق محمد عليه الصلاة والسلام ، وفضله في تكوين هذا العالم العربي وإبرازه من العدم إلى الوجود ، وبدرت من أفواه كثير من الشباب المتعلم ، وبعض قادة الفكر وحملة الاقلام كلمات وكتابات ، يرتد بها صاحبها عن الاسلام ، ولا يستحق أن يدفن في مقابر المسلمين .

وصدرت مقالات في صحف ومجلات حكومية يبرز فيها أصحابها كعدو حقوق نائر على الاسلام وجميع الاديان .

وبدأ بعض الكتاب يتحدثون عن « الانسان العربي الجديد » كعملاق مارد على جميع الاديان السماوية ، والاسس العقائدية ، وجميع القيم الخلقية والروحية .

وقد عبر عن هذه الفكرة كاتب جريء يمثل في مقال له في مجلة عسكرية حكومية عدداً كبيراً من الضباط والقادة ، والمفكرين الذين يفكرون هذا التفكير .

يقول صاحب هذا المقال :

« استنجدت أمة العرب بالاله ... فتشت عن القيم القديمة في الاسلام والمسيحية ، استعانت بالنظام الاقطاعي والرأسمالي وبعض النظم المعروفة في العصور الوسطى ، كل ذلك لم يجد فتيلاً ... مع كل هذا شمرت أمة العرب عن ساعديها ونظرت بعيداً .. بعيداً .. لترى طفلها الوليد ، يقترب منها شيئاً فشيئاً .. وهذا الوليد ليس إلا الانسان العربي ، الاشتراكي الجديد .

الانسان المتمرد على جميع القيم المريضة الهزيلة في مجتمعه ...



التي هي ليست إلا وليدة الاقطاع والرأسمال ولاستعمار . . تلك  
القيم التي جعلت من الانسان العربي إنساناً متخاذلاً متواكلاً، إنساناً  
جبرياً ، مستسهماً للقدر ، إنساناً لا يعرف إلا أن يقول : « لا حول  
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ،

أما القيم الجديدة التي ستخلق الانسان العربي الجديد ، فهي  
قيم تابعة من صلب الانسان المتمرد المعذب ، تابعة من قلب  
الانسان الجائع ، تابعة من الانسان الاشتراكي الثوري الجديد . .  
الذي لا يؤمن إلا بالانسان وبالانسان وحده .

والطريق الوحيدة لتشييد حضارة العرب ، وبناء المجتمع  
العربي هي خلق الانسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن  
الله والأديان ، والاقطاع ، والرأسمال ، ولاستعمار ؛ والمتخمين ،  
وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي مخنطة في  
متاحف التاريخ .

ونحن إذ نشترط في إنساننا الجديد رفضه للقيم السابقة  
علينا أن نضع قيماً جديدة محدودة، ليست هناك سوى قيمة واحدة،  
وهي الايمان المطلق بالانسان القدري الجديد ؛ الانسان الذي لا  
يعتمد إلا على نفسه وعمله وما يقدمه للبشرية جمعاء ، لأنه يعلم  
نهايته الحتمية .. الموت .. وليس غير الموت ، ان يكون هناك  
نعيم أو جحيم ، بل سيصبح ذرة تدور مع دوران الأرض ، لذلك  
هو مضطر إلى أن يقدم كل ما يملك لأتمته والانسانية دونما مقابل



( كزاوية صغيرة في اللجنة مثلاً ) (١) .

وقد خامرت جميع الشعوب العربية نشوة هذه القومية في قليل أو كثير ، وجند لها زعمائها وقادة الادب والفكر والسياسة جميع مواهبهم وقواهم وجميع وسائل الحكومة ، وكل ذلك يثير سخط الله وغضبه ويقطع عن أصحابها نصرته وتأييده ، وقد زخر القرآن بالوعيد والوبال على من يجحد النعمة ، ويكفر بها :

« وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » (٢) ولا نعمة أعظم من نعمة الاسلام ، ولا ثروة أعز من ثروة الايمان ، وقد قال الله تعالى : « واذكر نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٣) وقال : « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار » (٤)

والعامل الثالث : هو قيام الحكومات العسكرية الدكتاتورية في كل قطر عربي تقريباً ، وظهور ثورة عسكرية على إثر ثورة عسكرية في هذه البلاد .

١ - من مقال للمرشح ابراهيم خلاص في مجلة « جيش الشعب » السورية .

٢ - سورة إبراهيم : ٧ .

٣ - آل عمران ١٠٣

٤ - إبراهيم ٢٨



وقد أفقدت هذه الثورة المشروعة المتلاحقة المتوالية البلاد أفضل قادتها العسكريين وزعمائها السياسيين ، وأكثرهم حنكة وتجربة ، واكتواءً بالسياسة ومراساً بالحرب ، فكان عدد كبير من هؤلاء القادة وأركان الحرب ، والضباط المحنكين ، والزعماء الناضجين ضحية هذه الثورات وهذه الحكومات « الدكتاتورية » ، فيعدم كثير منهم ، ويجلى الباقون ، ويغادرون البلاد فراراً بدينهم أو شرفهم أو حياتهم ، وهكذا أصيبت هذه البلاد بفقر الرجال ، وأزمة القادة ، ولم تبق فيها إلا عصابت معدودة محدودة لحزب واحد ولوجهة نظر خاص .

وكانت أكبر مهمة هذه الحكومات « الدكتاتورية » المقلدة للحكومات الشيوعية المتطرفة ، القضاء على كل عرق ينبض وعين تطرف .

فتعقبها تعقب محاكم التفتيش في القرون الوسطى ، وفرعون مصر لأطفال بني إسرائيل في زمن قبل التاريخ .

فأصبحت البلاد كلها شبه معسكر لا يوجد إلا زي واحد ونظام واحد ، أو كسجن كبير لا حرية فيه ولا تنوع ، وأصبحت الصحافة والاذاعة آلة ترديد الصوت الرسمي وتضخيمه .

وتعقبت الجماعات الدينية بصفة خاصة ، ولقيت القسط الأكبر من الاضطهاد والتعذيب ، والمطاردة والهوان ، حتى عدت البلاد



بطولها وعرضها قائلاً : يقول : « أصبت » و « أخطأت »  
و « أحسنت » و « أدأت » .

وأصبح الصوت الوحيد الذي يسمع : « أصبت وأحسنت » ،  
وعدمت البلاد بطولها وعرضها قائلاً يقول لضابط صغير من الضباط ،  
ولحاكم عادي من الحكام ، بل لصحافي ومذيع ، أو كاتب  
وأديب ، : « اتق الله في أمتك وبلادك » .

وعنيت هذه الحكومات بتجفيف منابع الايمان والحماسة  
الاسلامية ، أكثر مما عنيت بسد أبواب الفساد والاحاد ومعاقبة  
الخنونة المجرمين ، والدعارين الحشاشين .

وكانت هذه الحكومات التي تزعم الديمقراطية أو الاشتراكية  
أفزع صور الحكومات الشخصية الجائرة المستبدة في الزمن القديم .  
وكان أكثر شغف هذه الحكومات الشخصية الدكتاتورية  
بالثرثرة الفارغة ، والخط الرنانة ، والوعود الخلابة ، والتهديدات  
المجلجلة ، وكان اعتمادها على كثرة الكلام ، والدعاية والصحافة  
أكثر وأقوى من اعتمادها على الجنود المسلحة ، والآلات  
الحديثة ، والعتاد الحربي ، وروح الفروسية والبطولة وتجنيد  
الشعوب ، حتى أتخم بها السامعون ومجها وعافها المستمعون ، وسخر  
منها الأجانب والمنافسون .

وقالت إسرائيل في إحدى أذاعتها القريبة : « استمروا يا زعماء



العرب في خطبكم ، واختلاق القصص والأساطير ، فإذا جد الجدد  
وآن الأوان ، علمتم ماهي إسرائيل . هذه ساعة العمل ، لا ساعة  
الكلام ، وأن الدعاوى الفارغة لا تقدم ولا تؤخر .

وكان مع الأسف « الجمهورية العربية المتحدة » من أبرع هذه  
الحكومات في صناعة الكلام ، فقد كانت صحافتها وإذاعتها هي  
الجنود الحقيقية التي تعتمد عليها ، وتطاول بها ، ويخاف زعماء  
العرب ورؤساء الحكومات من تعرضها لهم ، ونهشها لأعراضهم  
وكرامتهم ، وقد كانت معركة كلامية حامية في هذه البلاد  
تتسابق فيها في المهاجمة ، والتراشق بالكلام ؛ والتنازع بالألقاب ،  
واختلاق التهم والقصص ، وكان للجمهورية العربية المتحدة الزعامة  
في هذا الميدان ، كما كانت لها الزعامة في كل ميدان من ميادين  
الأدب والثقافة ، فقد اجتمع عندها من الكتاب المحترفين ،  
والصحافيين البارعين ، والمذيعين المتحذلقين الثرثارين ، ما لم يجتمع  
لأي حكومة شرقية ، فضلا عن حكومة عربية .

زد على ذلك كله اعتماد هذه الحكومات واعتماد زعيماتها على  
القوة الخارجية ، وعلى الأوضاع والظروف العالمية التي ساعدت « السيد  
الرئيس » في كسب معركة « القنال » ، وشقت له الطريق إلى  
ذلك ، وقد اتخذها عصاً يتوكل عليها في كل معركة ! .

في هذه الظروف والأجواء ، وبين هذه الأخلاق والاتجاهات ؛  
قامت المعركة الحاسمة بين الحكومات العربية ، وهي مصابة بهذه  
العلل كلها ، وفي افلاس روحي وضعف خلقي ، وأزمة في الرجال



وفي العاطفة ، والحماسة ، والانسجام ، والوحدة ، لا تزال تسمى  
هذه المعركة - إلا في اللحظة الأخيرة - معركة العروبة  
و « المعركة المصيرية » .

وقد سمع الناس في الاذاعة رئيس وزارة في حكومة عربية  
كبيرة يفتتح حديثه ، والحرب قائمة على قدم وساق بقوله : « باسم  
العروبة الخالدة ، تحية العروبة لكل عربي حر » ، وتجرد عن كلمة  
تمت إلى الإسلام والدين والله والرسول بصلة ، والبلاد العربية لا  
تغشاها روح الإنابة والخشوع ، والابتهاال إلى الله والالتجاء إلى  
رحمته ونصرته ، والاطراح على عبوديته ، والتوكل عليه ، والتبرؤ  
من كل حول وطول إلا عليه ، كما فعل أسلافهم الأولون ، وحث  
عليه القرآن حيث قال :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله  
كثيراً لعلكم تفلحون . واطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا  
فتمشوا وتذهب ويحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين ، ولا  
تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ،  
ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط » (١) .

وخرجت المواقب والمظاهرات في العواصم العربية تهتف :  
منسحق الاستعمار الأمريكي ، منسحق الرجعية العربية ، - التي  
هي أبغض الأعداء اليها - فلم تثبت هذه الحكومات في المعركة



ثلاثة أيام ، وطابت وقف إطلاق النار من غير شرط ولا قيد ،  
وكان ما كان ، بما ذل به كل مسلم فضلا عن العرب ، في كل بقعة  
من بقاع الأرض .

أما إسرائيل فلم تضيع ساعة ، بل دقيقة في تقوية مركزها  
وتجنيد سكانها ، والأخذ بالجد واللباب ، وتهيئة الوسائل  
والاسباب لكسب المعركة ، وغسل العار الذي لحقها في معركة  
« القنال » .

فلم نسمع بثورة عسكرية فيها ، ولا بقيام حكومة  
« دكتاتورية » تصدر جميع الحريات وتشل الحياة ، وتفلج  
الضمير ، وتحارب كل إصلاح ديني أو خلقي ، وتطارد كل جماعة  
تنادي بالتمسك بالتعاليم الدينية والاخلاق الفاضلة .

ولم نسمع طوال هذه المدة باعدام القادة الحربيين ، والضباط  
العسكريين ، والزعماء السياسيين ، وإجلالهم وتشريدهم ، كما نسمع  
ذلك في كل فترة ومدة قصيرة عن العواصم العربية .

وركزت كل جهودها ووسائلها على محاربة العدو المحيط بها ،  
والانتصار عليه ، والدفاع عن « الوطن المقدس » . ذلك كله في  
هدوء وصمت ، وفي حيطة وحذر ، من غير دعاية وتهريج ، وطعن  
في المنافسين ، وإهدار كراماتهم .

وينسب أهلها نفوسهم ودولتهم وكفاحهم إلى أنبياء الله  
وأحبابه ، وتنتسب إلى موسى حين ينتسب كثير من العرب في



مصر إلى قرعون - وتعتبر كفاحها « جهاداً مقدساً » ، وحرباً  
دينية .

وقد فوجيء كثير من أصدقائنا حين رأوا العرب يتناسون  
الاسلام ، ويتغافلون عن العبادة والدعاء ، ويخرجون في غرور  
وخيلاء ورأوا ذلك في « التلفزيون » ، ورأوا اليهود بالعكس ؛  
قد صاموا عن بكرة أبيهم يوم السبت ، وخرجوا يرفعون صحف  
التوراة بأيديهم ، ويدعون الله ، ويسألونه النصر والتأييد .

هنالك يقع ما يقصم ظهر كثير من المسلمين والمشاركين للعرب  
في العقيدة والدين ، وفي النسل والطين<sup>(١)</sup> المحبين لهم بكل قلوبهم  
وعقولهم ، الذين يعتقدون أن ذل المسلمين بذل العرب ، وعز  
لمسلمين بعز العرب ، وأنهم كنانة الاسلام ومارز الايمان، وصعب  
على كثير منهم فهمه واحتماله ، ولكن الذي عرف سنة الله في  
خلقه ، ودرس القرآن دراسة عميقة مجردة ، وقرأ إنكاره على اليهود  
الذين كانوا يعتقدون أن بينهم وبين الله نسباً ورحماً ، ولهم عليه  
دالة وحقاً ، فهم لا يؤخذون على التفريط ، ولا يعاقبون على  
الاعمال والاخلاق ، فقال في صراحة ليست فوقها صراحة ، وفي  
بلاغة ليست فوقها بلاغة .

« وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم

١ - ومنهم كاتب هذه السطور وكثير من أصدقائه وذويه .



يعذبكم بذنوبكم ، بل انتم بشر من خلق ، يغفر لمن يشاء  
ويعذب من يشاء ، والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه  
المصير»<sup>(١)</sup> .

وأعلن أن قانون الجزاء على الاعمال والاخلاق عام محيط ليست  
فيه مدهنة ولا محاباة، وأنه ليس هناك عند الله ما يسمى «المحسوبية»  
في الحكومات والادارات ، فقال محذراً منذراً :

« ليس بأمانيتكم ولا امانى اهل الكتاب ، من يعمل سوءاً  
يجز به ولا يجده من دون الله ولياً ولا نصيراً »<sup>(٢)</sup> .

وذكر أن السعي والجهاد ، لا تختلف عنها نتائجها ، وأنه لا  
يشترط فيها مؤمن ولا كافر ، فقال : « وان ليس للانسان الا  
ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى »<sup>(٣)</sup> .  
وقال :

« كلا ثم هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك  
محظوراً »<sup>(٤)</sup> .

ونفى عن نفسه الظلم ، وتطيف الكيل ، ونجس الحق ،  
فقال :

« وما ربك بظلام للعبيد »<sup>(٥)</sup> وقال :

---

١ - سورة المائدة : ١٨

٢ - سورة النساء

٣ - سورة النجم

٤ - سورة الاسراء

٥ - سورة ق



« ان الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس انفسهم  
يظالمون (١) » .

وهدم القرآن عقيدة تمجيد النسل وتقديس السلالة ؛ والاستئثار  
ببيت خاص . كما كانت شائعة عند اليهود والمجوس ، وفي إيران  
والهند ، وأرسي قاعدة العمل والجزاء ، والسعي والكفاح وربط  
المسببات بالأسباب ، والنتائج بالأعمال في غالب الأحوال فقال :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة  
شراً يره (٢) »

وعاقب على الظلم وسفك الدماء البريئة ، والعبث بالأرواح ، في  
كل مكان وزمان ، وفي كل أمة وجيل ، وفي كل دين وشريعة ،  
وعاقب على السفاهة والرعوننة وتعطيل العقل والمنطق ، وتضييع  
الأسباب والعلل ، والاسترسال إلى الأوهام والاحلام والجدل  
والكلام ، في كل بقعة من بقاع الارض وفي كل دور من أدوار  
التاريخ .

وذم الطاعة العمياء الرعناء لاي قائد مزهو بقوته ، ومغرور  
بنفسه ، لا يرجو معاداً ولا يخشى حساباً ، ولا يرقب إلا ولاذمة ،  
ولا يعرف هوادة ولا رحمة فقال :

---

١ - سورة يونس  
٢ - سورة الزلزال



« واتبعوا امر فرعون ، وما امر فرعون برشيد (١) »

وقال :

« ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم

من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون (٢) » .

وقد اقترنت بهذه الاخلاق والصفات ، وبهذه المناهج من الحياة

نعممة الله وسخطه بقطع النظر عن الاشخاص والذوات ،

والافراد والجماعات ، والمذاهب والديانات ، فكان ما وقع - وباليته

لم يقع - تصديقاً للقرآن ، وبرهاناً ساطعاً على عدل الله ، وصدق

الاسلام ، وصحة ما جاء به الرسول ، ونطق به الكتاب والسنة :

« افلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافاً كثيراً (٣) »

أما بعد ! فالكارثة فادحة تقصم الظهر وتذيب المهجة ، وتخير

العقل ، وتحطم الاعصاب ، وكل ما يقال عنها قليل وقاصر ،

ولكن هذه الامة ظلت تحمل النكبات ، وتمر بالكوارث .

كانت اولها وأعظمها : وفاة نبيها ، وارتداد عامة العرب ،

وانحصار الاسلام والمسلمين - وجلهم بل كلهم من العرب - في

مدينة صغيرة ، وقرية أو قريتين من الجزيرة يموج حولهم بحر

---

١ - سورة هود

٢ - سورة هود

٣ - سورة النساء



الكفر والعداء ، وتكثفهم امبراطوريتان عظيمتان قد هاجتا  
عليهم ، وطمعتا فيهم ، فهو كما يقول عروة بن الزبير : « كالغنم  
في الليلة المطيرة الشامية ، لفقده نبيهم صلى الله عليه وسلم وقتلهم ويكثرة  
عدوهم » .

والثانية : تدفق الجيوش الصليبية والحكومات الاوروبية  
بأسرها وخيلها ورجالها على جزء صغير من المملكة الاسلامية ورميها  
للمسلمين عن قوس واحدة ، واستيلاؤها على القدس والمسجد  
الاقصى ، وكثير من المدن العربية الاسلامية ، وتجهديدها للاسلام ،  
وتهديدها لمركزه ومرقد نبيه عليه الصلاة والسلام ، فهم في مدغم  
الاول ، كالوتد الحديدي يغرز في خشب نبيء ناعم ، كما يقول  
« استيلي لبن بول » .

وثالثتها : زحف التتار الوحوش على العالم الاسلامي ،  
وتحطيمهم له من أقصاه إلى أقصاه ، فكانوا يسرحون على جمته  
وأشلائه من غير خوف أو احتشام .

وقد كان العالم الاسلامي مقبرة واسعة يهemin عليها الموت ،  
ويسود عليها الصمت الرهيب ، وقد قطع المتفائلون الاقوياء الرجاء  
في نهضتهم .

ويذكر هذا الحادث المؤرخون العرب ، فتنهمل عبراتهم ،  
وتتقطع أنفاسهم ، ويفضلون السكوت على الحديث ، والموت على  
الحياة .

ويذكره المؤرخ « ابن الاثير الجزري » فيقول : لقد بقيت



عدة سنين معرضاً عن ذكر الحادثة إستعظماً لها ، كارها لذكورها ،  
فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى . فمن الذي يسهل عليه أن  
يكتب نعي الاسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ،  
فيا ليت أُمِّي لم تلدني ، وباليثني مت قبل هذا و كنت نسياً  
منسياً .

وكانت هذه الكوارث خليقة بالقضاء على أمة من أعظم الامم ،  
ولكن الامة الاسلامية - وفي مقدمتها وعلى رأسها الشعوب  
العربية - خرجت من تحت الركاب ، ومن تحت الانقراض حية  
جديدة ، قوية نشيطة ، ونفضت عنها غبار الموت ، وتراب القبر  
الذي تخيله أعداء الاسلام ، وأستأنفت السير في إيمان جديد ، وثقة  
مستأنفة ، ودم فائر ، وحماسة زائدة ، والتاريخ مستعد لاعادة  
نفسه إذا طلب منه ذلك ، واختير له السبيل القويم والصراط  
المستقيم .

إن هذه الكوارث الثلاث التي وقعت في عصور مختلفة ،  
وانتفاضة الامة الاسلامية بعدها ونهوض العرب ، يلتقي على نقطة  
واحدة ، وهي وجود قيادة مؤمنة ، راسخة العقيدة قوية الايمان  
بوعده الله ونصره ، وبصلاح الاسلام وبالقوة الكامنة فيه ، شديدة  
التمسك بتعاليم الاسلام وآدابه وأخلاقه ، مجردة عن كل أنانية ،  
وعصية جاهلية .

فكان على رأس الانتفاضة الاولى أبو بكر الصديق رضي الله  
عنه ورفقته .



وكان على رأس الانتفاضة الثانية صلاح الدين الايوبي وانصاره.

وكان على رأس الانتفاضة الثالثة علماء ربانيون، ووزراء صالحون  
أسلم على أيديهم التتار أفراداً وأمة، وتحولوا حماة للإسلام وحماة  
للوائه في الشرق والغرب.

ويلتقي هؤلاء القادة على أنهم كلهم كانوا يدعون بدعوة الإسلام،  
ويقاتلون بسيف محمد عليه الصلاة والسلام. واستحقوا بذلك  
نصر الله وتأييده الحارق للعادة، وظهرت المعجزة فقد قال الله:  
« أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون »<sup>(١)</sup>  
وقال: « وان جندنا لهم الغالبون »<sup>(٢)</sup>.

يجب علينا - نحن معشر العرب والمسلمين - أن نستأنف  
السير من جديد، فنعتزف - بالشجاعة التي عرفت بها العرب  
في التاريخ - .

إن الطريق الذي اخترناه لبناء كياننا الجديد، واسترداد  
مركزنا في العالم الجديد، وفي كسب القوة والوحدة، وفي إنقاذ  
فلسطين، كان طريقاً عقيماً منحرفاً يجبط المساعي ويخيب الآمال،  
وأنه لا يقترن بنصر الله وتأييده، حين لا عز ولا كرامة، ولا  
ظفر ولا انتصار إلا بنصره وتأييده.

ونعتزف بشجاعة أن الله ربط مصيرنا بالإسلام وبمحمد النبي

١ - سورة المجادلة .

٢ - سورة الصافات .



الأمي ، وبتأييد دينه . « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه  
واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » <sup>(١)</sup> « وإِنَّه  
لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » <sup>(٢)</sup> .

ونعترف بشجاعة أن دعوة القومية العربية ، قد أخفقت  
وافترضنا وأنها كانت : « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً  
حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله  
سريع الحساب » <sup>(٣)</sup> .

ونعترف بشجاعة أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن الطريق الذي  
تسلكه الحكومات الدكتاتورية الشيوعية مبيد للبلاد ، مهلك  
للحرف والنسل ، وأنه لا يتفق مع الإسلام ولا مع الإنسانية ،  
ولا مع الحرية الحقيقية ولا المساواة ولا الجمهورية ، وأن الطاعة  
المطلقة العمياء لقائد أو أمير ، والخضوع له في خير وفي شر ، وفي  
طاعة وفي معصية ، وتسليطه على العقل والنفس تسليط الأصنام  
والآلهة ، وعدم محاسبته في تصرفاته بجر النار والدمار على العباد  
والبلاد .

وأن نعترف بشجاعة بأن الثروة و كثرة الكلام ، والدعاوى  
الفارغة لا تفيد شيئاً ، وأن التفريط في الاستعداد ، وعدم مقابلة

---

١ - سورة الاعراف .

٢ - سورة الزخرف .

٣ - سورة النور .



الحديد بالحديد ، والغفلة والأخطاء الصيانية في ميدان الحرب  
جرية لا تغتفر في عالم الأسباب .

ونعترف بشجاعة أن العرب في حاجة إلى إيمان جديد بالدين  
الحالد القويم ، وإلى حب يملأ جوانح النفس ، ويغمر العقل والقلب  
بعنوان مجدهم ، وسر شرفهم وكرامتهم ، ومنبع قوتهم وانتصارهم  
« محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي » ، الذي لا  
يعز العرب ولا الأتراك ولا الهنود إلا بالآيات برسالة الخالدة ،  
وتعاليمه الفاضلة وإمامته الدائمة ، وقيادته الرشيدة .

ونعترف بشجاعة أن المسلمين والعرب لا تفيدهم قوة أجنبية ،  
ولا تخدمهم مصالح سياسية للأجانب تتقلب مع الرياح ، وتخضع  
للمنافع والأرباح ، فليتوكلوا على الله أولاً ، ثم ليعتمدوا على  
سواعدهم وشجاعتهم وإيمانهم ، وأخلاقهم وصفاتهم ثانياً .  
ويجب أن نلتجئ إلى الله أفراداً وأمة في ضراعة وابتهاال ،  
ونتوب إلى الله توبة إجماعية نصوحاً ، ونبرأ إليه من كل حول  
وطول ، ونؤمن بأنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ، ولانكون  
كالذين قال الله فيهم :

« فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم ،  
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون »<sup>(١)</sup> . ولا كالذين قال  
فيهم :

١ - سورة الأنعام .



« ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما  
يتضرعون »<sup>(١)</sup> .

بل نكون كالذين قال فيهم :

« وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض  
بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا  
اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم »<sup>(٢)</sup>  
والتوبة الجماعية المخلصة تأثير غريب في تغيير المصير وقلب الأوضاع .  
فقد حكى القرآن عن هود قوله :

« ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم  
مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين »<sup>(٣)</sup> .

وحكى قول نوح : « فقلت استغفروا ربكم انه كان  
غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين  
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً ، ما لكم لا ترجون لله  
وقاراً »<sup>(٤)</sup> .

ولنصلح حياتنا وسيرتنا مع الله ومع عباده ، وفيما مكننا فيه  
ومتعنا به ، ولنترك المنازعة مع الله ، ومحادة رسوله ، ومعارضة

---

١ - سورة المؤمنون .

٢ - سورة البراءة .

٣ - سورة هود .

٤ - سورة نوح .



شريعته وقانونه ، ولندخل في السلم كافة ، فلذلك تأثير سحري في  
الفوز بالسعادة ، والعز والكرامة ، والنجاة من الحكام الظالمين ،  
والاعداء القاهرين فقد قال تعالى :

« وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » (١) .

وقال : « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم  
بركات من السماء والارض » (٢) . وهذا هو السلاح الذي أشار به  
موسى على قومه في مصر : « واوحينا الى موسى واخيه ان  
تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً ، واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا  
الصلاة وبشر المؤمنين » (٣) .

ألا إن العالم الغربي لم يغب له نجم إلا وطلع له نجم آخر ،  
ولم يتوار بطل إلا وبرز بطل آخر ، ولم يرض الله بذله وهوانه .  
ففي ذل المسلمين ، وفي هوانه شماتة الاعداء المتربصين ، فلينفض  
عنه الغبار وليستأنف السير ، وليعد إلى مركزه ورسالتـه ،  
وصفاته الاولى :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ،  
ان يمسخكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام انداؤها بين  
الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا

١ - سورة الجن .

٢ - سورة الأعراف .

٣ - سورة يونس .



يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، ام  
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم  
الصابرين ، ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد  
وأيتموه وأنتم تنظرون « (١) .



بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

والله اعلم  
بما نزلنا  
في كتابنا  
القرآن العظيم

والله اعلم  
بما نزلنا  
في كتابنا  
القرآن العظيم

والله اعلم  
بما نزلنا  
في كتابنا  
القرآن العظيم

والله اعلم  
بما نزلنا  
في كتابنا  
القرآن العظيم



## قَارِنُوا بَيْنَ الرِّبْحِ وَالْحَسَارَةِ يَا زَعَمَاءَ الْعَرَبِ

\* الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ! أما بعد !

سادتي وإخواني ! يسرني ويسعدني أن أتحدث في « نادي الوحدة الرياضي » ، لأن الرياضة سواء كانت رياضة بدنية أو رياضة فنية تقوم على الاعتراف بالواقع وتقرير الحقائق ، وتحكيم العقل والمنطق ، والتجربة والاختبار .

إنها تعتمد على واقع الحياة ، والحقائق الراهنة ، وعلى التجارب المتواصلة ، أكثر مما تعتمد على المعاني الشعرية والأخيلة البديعة ، والاسترسال في الأوهام والأحلام .

وأعتقد أن الإيمان بالله ، وأن الدين الحق يلتقيان مع الفكرة

---

\* محاضرة ألقاها المؤلف في « نادي الوحدة الرياضي » بمكة المكرمة في الاثنين الأول من شعبان ١٣٨٧ هـ ، وقد حضر الحفلة عدد كبير من أعيان البلد ، والأدباء والصحفيين وأساتذة الكليات ورجال المعارف والشباب المثقف .

ونص هذه المحاضرة نقل من المسجل . ونحن نشره بناءً على الحقائق التي جاءت في هذه المحاضرة ، والصراحة التي اتسمت بها ، ونحن في أشد الحاجة إلى هذه الصراحة في هذه المرحلة الدقيقة التي تجتازها الأمة العربية .



الرياضية ، وبالأصح مع النفسية الرياضية أكثر مما يلتقيان مع الخيال والشعر ، والخطابيات والتخييلات ، إنما يلتقيان على الجهد والصرامة ، وعلى الحيوية والواقعية ، ونحن المسلمين اليوم بصفة عامة والعرب بصفة خاصة في حاجة ملحة إلى هذه الطبيعة الرياضية .

إننا نزعم أننا مسلمون فلنكن مسلمين حقيقيين ، مسلمين في الحقيقة لا في الصورة .

إن قضية الدين يؤمنون بالدين الحق - أيها السادة - تختلف عن قضية الدين لا يؤمنون بهذا الدين اختلافاً كبيراً .

إن الذين يؤمنون بالدين الحق يجب عليهم أن يخلصوا لهذا الدين ، وأن يتمسكوا بلباب هذا الدين وبحقيقته ، وبمقدار ما يتمسكون به ويخلصون له ويحشدون في سبيله يستحقون النتائج التي وعد بها الله الذي اختار هذا الدين ، والنصر الذي تكفل به .

نقرأ في القرآن أن الله تبارك وتعالى قد طلب من اليهود أن يكونوا متمسكين بدينهم ، مخلصين في دينهم صادقين ، آخذين باللباب غير القشور ، وبالحقيقة لا بالصورة والإسم ، وجعل تمسكهم بالدين المقياس الحقيقي والميزان العدل فقال :

« قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة



والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم» (١) .

وقال : « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم  
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (٢) .

وقد عاقبهم الله على انحرافهم عن دينهم الذي اختارهم، والذي  
احتضنوه وزعموه ، عقوبة شديدة فقال :

« إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في  
الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين » (٣) .

فنحن المسلمين ونحن العرب بصفة خاصة ، إذا انحرفنا عن هذا  
الدين ، أو تمسكنا به صورياً واسمياً فقط لا حقيقياً لا نستحق نصر  
الله ، ولم نستحق ما وعد الله به من الشرف . فمصير الأجيال التي  
تدين بدين ، مرتبط بهذا الدين ، تتشرف هذه الأجيال وتنتصر في  
المعركة بمقدار ما تتمسك بهذا الدين .

إن وضعنا - أيها السادة ، أيها الاخوة الكرام - كما قلت  
يختلف عن وضع الأمم التي لا تدين بهذا الدين .

إننا لما قبلنا هذا الدين والتزمناه ، وأعلنا أننا مسلمون وجب  
أن نكون مسلمين ، وأن ندخل في السلم كافة ، وأن نعطي القيادة

---

١ - سورة المائدة : ٦٩ .

٢ - سورة المائدة : ٦٧ .

٣ سورة الأعراف : ١٥٢ .



للاسلام ، وأن نحقق فينا صفات المسلمين وأخلاقهم .

وجب أن نكون مسلمين في الحقيقة ، في اللباب ، في الروح ،  
وإن معاملة الله تبارك وتعالى على الحقيقة لا على الصورة ، كما نجرب  
كل يوم .

إن صورة أي دين حق ، إن صورة أي معنى من المعاني ،  
وأي حقيقة من الحقائق لا تغني ، لقد قال الله تبارك وتعالى :

وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم  
كانهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو  
فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون « (١) » .

فوضعنا الحاضر أننا ندعي هذا الدين ، أننا ندعي أننا  
مسلمون ، ونطلب من الله أن يعاملنا كمسلمين ، وأن تتحقق تلك  
الوعود وتلك النتائج التي قرأنا أمثلتها الرائعة في التاريخ ، ولكننا  
ننسى أو نتناسى أن هذه النتائج كانت - ولا تزال - تابعة للأسباب  
الطبيعية ، تابعة للمقدمات الصحيحة . فالماء ماء يروي ويشفي .  
والطعام غذاء يشبع ويغذي ، والدواء دواء ينجع ويبريء إذا  
كان على حقيقته .

فالماء لا يروي إذا لم يكن ماء ، وكان صورة للماء ، أو سراباً  
بقية يحسبه الظمان ماء . والنار إذا كانت صورة مجردة منها كانت

١ - سورة المنافقون : ٥ .



هذه الصورة دقيقة وصادقة ، فاننا لا نستطيع أن نستدفيء بها ،  
وأن نكتسب منها الحرارة أو النور ، وهذه طبيعة الأشياء ونظام  
الكون الذي يتحكم في هذا العالم .

إن كل ذنبنا وخطئنا أننا طلبنا من الصور ما لا تعطيه إلا  
الحقائق ، فكل هزائنا وكل نكباتنا راجعة إلى أننا توقعنا من  
الصور ، توقعنا من الاسماء ، توقعنا من المظاهر ، توقعنا من الدعاوى ،  
توقعنا من الكلمات - تلك النتائج الحية الضخمة الحقيقية التي كانت  
- ولا تزال - منوطة بالحقائق .

إننا برزنا إلى الميدان كمسلمين بالإسم ، كمتظاهرين  
بالإسلام ، كمتشبعين من غير شبع ، فلما وقع النضال بين الحقيقة  
والصورة خذلتنا الصورة في الميدان ، وافتضحنا أمام الناس ، أمام  
العالم .

إننا إذا برزنا إلى الميدان كمسلمين حقيقيين ، ولو كنا في قلة  
لتكررت قصة الحوادث التي نقرأها في التاريخ ، ولتكررت تلك  
المعجزات التي كاد العالم يقطع الرجاء منها .

إن الحقيقة حقيقة منذ آلاف من السنين . لم تتغير ولم تتبدل ،  
إذا كانت حقيقة الادوية لم تتغير ولم تتبدل كما نجرب كل يوم ، إذا  
كانت حقيقة النار هذه التي تخضع لنا ، والتي نلهبها ونطفئها ، إذا  
كانت حقيقة النار لا تزال منذ آلاف من السنين كما كانت في عهد  
آبائنا وأجدادنا وقبل آبائنا وأجدادنا كما يقص علينا التاريخ ، وكما



تشهد بذلك الحفريات والآثار ، وإذا كانت حقيقة البحار هي حقيقة  
البحار ، وإذا كانت حقيقة الغذاء والماء لم تتغير مع الزمن ، فلماذا  
نعتقد أن الإيمان وحده قد فقد حقيقته ؟

لقد كان الإيمان يتغلب على هذه الحقائق كلها ، لقد كانت  
النار تفقد خاصيتها ، وتفقد حقيقتها وطبيعتها أمام هذا الإيمان ؛  
إذا كان الإيمان أكثر التهاباً ، وإذا كان أكثر قوة ، وإذا كان  
أكثر حقيقة من هذه النار ، فقد أصبحت برداً وسلاماً على  
إبراهيم ، ولماذا لا تخضع ولا تنتكس هذه النار التي خلقها الله  
لمصالح العباد ، التي خلقها ليقضي الناس بها مآربهم ، التافهة  
أحياناً ، والسطحية أحياناً ، فلماذا لا تخضع هذه النار ولا تنهزم  
أمام الإيمان ، الذي خلق لمصلحة الانسانية الكبرى ، لمصلحة  
الانسانية الخالدة ؟

فلتخضع النار أمام هذا الإيمان ، ولتخضع البحار أمام هذا  
الإيمان ، ولتخضع الجبال أمام هذا الإيمان ، ولتغير هذه القوانين  
الطبيعية التي جربها الناس من آلاف من السنين أمام هذا الإيمان  
الجديد ، الإيمان الفتي ، الإيمان الدافق بالحياة .

تذكرون وقعة المدائن . لما بلغ سعد بن أبي وقاص رضي الله  
عنه بجيشه إلى دجلة وهي تفيض وترمي بالزبد وقف هنيهة . ،  
وقف وقفة تأمل ، وقفة استعراض ، وقال لسلمان : ماذا ترى ،



هل نخوض هذا النهر أو ننتظر السفن؟ فقال سلمان رضي الله عنه :  
إن هذا الدين جديد ! .

يعني أن الله اختار هذا الدين ، وقرر أنه سيظهره على الأديان  
كلها . وأنه يجيئ به الانسانية التي ماتت . فأنا لا أصدق أن هذا  
الدين سينهزم ويتراجع أمام نهر من الأنهار ، ولماذا لا يخضع هذا  
النهر أمام هذا الدين؟ لماذا يخضع هذا الدين أمام هذا النهر؟ هذه  
العقيدة المؤمنة هي التي كانت تسيطر على نفوس المسلمين .

ثم قال له سلمان : ولكن أنظر في الجيش ، هل ظهرت فيه  
ذنوب وانتشرت؟ فإذا رأيت أن هذا الجيش بعيد عن هذه الذنوب  
فصدق أن الله سبحانه وتعالى ناصره ، وأنه سيتغلب على هذه  
الحقيقة الضعيفة ، وكذلك كان .

تقرؤون في التاريخ أن جيش المسلمين قد خاض النهر، وكان  
المسلمون يتحدت بعضهم إلى بعض ويمازح بعضهم بعضاً ، كأنما  
يمشون على البر ، فلما رآهم الفرس قالوا كما نقله « الطبري » بالنص:  
( ديوان آمدند ، ديوان آمدند ) يعني جاء الجن ، جاء العفاريت .  
إن هذا الايمان هو الايمان ، وأنه لا يزال يحمل تلك القوة  
التي تقهر القوى الطبيعية ، وتتغلب على فلسفة القلة والكثرة ،  
والضعف والقوة التي آمن بها الضعفاء والمقلدون ، ولكننا قد  
أفلسنا في هذه القوة واعتمدنا على ما يشترك فيه المسلم والكافر ،  
والمصلح والمفسد ، والمطيع والعاصي ، وقد يتفوق فيه الكافر  
على المؤمن .



إن فضل البندقيه أيها الإخوان هو الرصاص ، فإذا فقدت  
البندقيه الرصاص كانت أضعف من الخشب ، إن الخشب هو  
أنفع وأجود من البندقيه الفارغة التي ليست فيها رصاصة ، لأن  
الخشب يستعمل بأساليب متنوعة ، وبطرق كثيرة ، ولكن  
البندقيه لا تستعمل إلا بطريقة واحدة ، إن قوتها تتوقف على  
رصاصتها ، فإذا فقدت الرصاصة فقد كل شيء .

فالمؤمن إذا فقد الايمان ، إذا فقد الاعتماد على الله ، إذا تجرد  
عن الصفات التي أكرمها الله بها ، واختص بها من بين سائر الامم ،  
أصبح كسائر الناس ، وأذل وأضعف منهم أحياناً ، إن النار نار  
إذا كانت فيها حرارة ، فإذا فقدت هذه الحرارة فليست لها قيمة ،  
إن الملح ملح إذا كانت فيه ملوحة ، فإذا فقد الملح الملوحة ، أصبح  
الحصى وأصبح الخبز أثمن منه ، يعني عن أشياء ويفيد في مجالات  
كثيرة ، وفي أعمال كثيرة ، ولكن الملح لا ينفع إلا إذا كانت  
فيه الملوحة .

إن المسلمين كانوا أقوياء بايمانهم ، أقوياء بهذا الدين الذي كانوا  
يؤمنون به ، أقوياء بأنهم كانوا يؤمنون بحقائق يكفر بها أو لا  
يعرفها الآخرون ، فكانوا ينظرون إلى عالم لا شأن لغيرهم به ،  
وهو الذي أشار إليه تبارك وتعالى بقوله : « ولا تهنوا في ابتغاء  
القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون  
من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً » (١) .



فاذا أصبح المسلم لا يرجو من الله شيئاً ، فإنه قد أصبح في مستوى هؤلاء الماديين ، بل أخفض مستوى من هؤلاء الذين لهم آمال طويلة عريضة في الدنيا .

نحن المسلمون ، نحن العرب أيها الاخوان ، برزنا إلى الميدان بهذه الحياة المهلهلة السخيفة الناعمة الرقيقة ، المريضة العلية، الضعيفة الهزيلة الموبوءة الثقيلة ، التي يشترك فيها غيرنا بل يمتازون عنها بأن عندهم من الصرامة والجد ، ومن العزم وقوة الارادة ومن الاستهانة في سبيل المبدأ ، والثبات على العقيدة ، ومن التجرد لمقاصدهم ما لا يوجد عندنا في بعض الأحيان ، فلماذا ننتصر عليهم - ؟ ولماذا نشكو ؟ ولماذا نعتب ؟ ولماذا تساور نفوسنا وعقولنا هذه الظنون وهذه الريب التي تساورنا جميعاً ؟ بماذا نمتاز عنهم ؟ .

الحق أن أعداءنا متفوقون علينا ، كما قلت بالصرامة والجد وبالاستعداد وإعداد القوة ، وبالانسجام والاتحاد ، وإن المسلمين كانوا ينتصرون على المنافسين ، على الأمم المعاصرة بايمانهم ، بأخلاقهم ، بزهادتهم في الدنيا ، باستهانتهم بالزخارف والمظاهر ، بجنينهم إلى الشهادة ، وتطلعهم إلى عالم الغيب وبايثارهم الموت في سبيل الله على الحياة في الذات والشهوات .

لقد كانت الجيوش تقاتل للامراء ، كانت تساق إلى مساحة الحرب سوقاً ، وتحشر إلى ميدان القتال حشراً ، وكانت الحروب تفرض عليها فرضاً ، وهي راعمة مكرهة ، تلعن هذه الحكومات



المغتصبة الظالمة ، وكانت تقا تل رنم أنفها ، ورغما عن نفسها ،  
وكان المسلمون إنما يقاتلون ليكرموا بالشهادة ، ولينالوا ثواب  
الدنيا والآخرة ، وفرق بين الذي يطلب الحياة ويكره الموت  
ويبحث عن سبيل النجاة ، وبين الذي يبحث عن الموت أينما وجد ،  
يبحث عنه في مظانه وعير مظانه .

السبيل الوحيد للنصر أيها الاخوان ! أن نكون مسلمين حقيقيين ،  
وأن نحمل تلك الجذوة الايمانية التي كانت تلتهب نفوسنا ،  
وكانت جذيرة بأن تحرق الدنيا كلها ، إذا عادت هذه الجذوة ،  
جذوة الايمان وشعلة الحياة أعاد التاريخ نفسه .

إننا لما أخلصنا للاسلام في الماضي ، ولما اندمجنا في الاسلام ،  
وتجردنا عن كل شعار من شعار الجاهلية ، وحملنا مشعل الاسلام  
في أيدينا ، أصبحنا سادة العالم ، كنا نسيطر على أكبر رقعة من  
رقاع العالم المتمدن المعمور ، وانتشرت عقيدتنا وحضارتنا ،  
وآدابنا وأخلاقنا ، وعلومنا ولغتنا ، كما ينتشر ضوء النهار .

وكانت لغتنا تنتشر في العالم بالسرعة التي لم تعرف لاي لغة ،  
تنتشر من غير سلطة سياسية ، ومن غير استعمار .

لقد أصبحت هذه اللغة العربية ، لغة العلم ، لغة الثقافة ولغة  
التأليف وتغلغت في أحشاء العالم الاسلامي ، وكان المسلمون في كل  
بقاع الارض يتنافسون في تعلمها ، وفي التضلع منها .

كانوا عجماً بالثقافة وبالوراثة وباللغة ، وبالنشأة ، ولكنهم



كانوا يؤثرون هذه اللغة للكتابة والتفكير والفلسفة والعلم .

إنكم تعرفون اولئك النوابغ الذين نهضوا في العالم الاسلامي في القرون المختلفة ، هذا أبو علي الفارسي ، وهذا جار الله الزمخشري وهذا مجد الدين الفيروز آبادي ، وهذا السيد المرتضى الزبيدي الهندي ، كلهم كانوا عجباً .. من أجبرهم على تعلم هذه اللغة ؟

إن أبا حامد الغزالي كان يؤلف كتابه الاثير الحبيب باللغة العربية ، ويؤثر اللغة العربية للتأليف ، ثم يترجم وينقل هذا الكتاب إلى لغة أمه وبلاده ، كما فعل في « إحياء علوم الدين » و « كيميائي سعادت » مع أنه فارسي من « طوس » وهكذا كان اولئك النوابغ الذين لا يحصيهم إلا الله .

إنني لا أذكر لكم العلوم الدينية ، لان الدوافع الدينية كانت قوية دائماً ، ولعلمكم تعلمون بأن هناك دافعاً دينياً ، ولكنني أضرب لكم مثلاً باللغة العربية وآدابها ، ما الذي فرض هذه اللغة على الأجيال كلها التي كانت لا تتصل بهذه اللغة بنسب ، ولا بنشأة ولا سياسة ، ولا بادرة ؟ .

ولم تزال اللغة العربية هي لغة العلم ولغة التأليف في بلاد عريقة العجمة ، في بلاد توارثت لغتها واحتضنتها ولا تزال تعترف بها ، وهي لغات غنية خصبة ، فيها ثروة علمية هائلة ، ومع ذلك كله ، لا تزال اللغة العربية هي اللغة الحبيبة المفضلة في بلادنا الهند وباكستان .  
إنني أذكر لكم أيها الأخوان على سبيل المثال : أنني كنت



سنة ١٩٦٠ م في د كيرالا ، بالمنطقة الجنوبية في الهند ، وهي بلاد عريقة في الحضارة الهندية ، وقد كنت مضطراً في بعض الأحيان للتفاهم مع إخواني المسلمين هناك باللغة العربية ، فما الذي نشر هذه اللغة العربية في تلك البلاد البعيدة ؟ وما الذي جعلها تسيطر في بعض الأحيان على اللغات المحلية ؟ هي العاطفة الدينية ، هي الروح الدينية ، التي تغلغت في الأحشاء ، هي رابطتها بالقرآن ، وصلتها بالسنة ورابطتها بالاسلام .

إذا انقطعت هذه الرابطة - لاسمع الله بذلك - كما يريد كثير من القوميين ، فلا صلة لنا نحن العجم - بهذه اللغة ، على غناها وعلى ثروتها ، وعلى جمالها وعبقريتها ، إن الشيء الوحيد الذي يربط هذه الشعوب كلها على اختلاف أسنتها وثقافتها وأوطانها وبلدانها ، باللغة العربية هي الرابطة الدينية الروحية ، هي التي تجعل المسلمين في بلاد العجم يغارون على هذه اللغة أكثر مما يحرسون على تعلم اللغات الغربية .

جربوا أيها القوميون . وجرّدوا العروبة ، وجرّدوا اللغة العربية من الرابطة الروحية الدينية ، التي تربط الشعوب والأمم بهذه اللغة وبهذه البلاد ، ثم انظروا ماذا تفقدون وماذا تجدون ؟ ماهي نسبة ربكم من خسارتكم ، وماهي نسبة إفلاسكم من كسبكم ؟ ستعيشون في عزلة عن العالم .

إن هذا العالم الاسلامي الفسيح الذي لا يزال من ورائكم وهو يؤيدكم في جميع قضاياكم والذي ينتظر أن تسمحو له بالخوض



في هذه المعركة، إن هذا العالم تنقطع صلته عنكم . وتعيشون في  
عزلة .

خذوا القلم ، وخذوا أكبر صفحة من ورق ، واكتبوا فيها  
هذه النقطة التي كانت عليها العرب قبل الاسلام . ثم مدوا هذه  
النقطة بفضل اللغة العربية ، وبفضل النسب العربي ، وبفضل الثقافة  
العربية ، وبفضل الخصائص العربية ، وبفضل كل ما تستطيعون ان  
تفرضوه ، ثم انظروا إلى أين تمتد هذه النقطة ؟ الاسلام هو الذي  
مد هذه النقطة وعرضها وطولها ووسعها، الى أن وصلت إلى اقاصي  
العالم المتمدن المعروف .

إن هذه الروح الاسلامية لما فقدناها ، وقلنا : إنها عتيقة ، إنها  
بالية ، إنها « رجعية » ، ورجعنا إلى هذه القوميات ، فماذا وجدنا  
عوضاً عما فقدنا ؟ ما هو الشيء الوحيد الذي اكتسبناه ؟ إن العالم  
كله بما فيه من سياسة وإدارة ، وتجارة وتبادل ، وحرب وصلاح ،  
يقوم على الموازنة بين الربح والخسارة ، والانفاق والاكتساب ،  
والوارد والصادر .

إن التاجر الصغير يوازن بين الدخل والصراف ، وإذا تعطلت  
الموازنة تعطل نظام المدنية ، وأصبح الأمر فوضى ، فلماذا لانقارن  
نحن العرب ، بين ما ربحناه بالقومية ، والاشتراكية ، التقدمية ،  
وبين ما خسرناه باقصائنا للعنصر الديني ، وتجردنا عن الروح  
الدينية ، وشننا الغارة على ما نسميه « الرجعية » ؟ .



لقد كنا نسمع أن « الانسان العربي المارد العملاق » سيخرج من القمقم ، وسيدهش العالم ، وسيشغل سمع الزمان وبصره ، وبجثنا عن هذا « المارد العملاق » في كل مكان فما وجدنا له عيناً ولا أثراً ، بل الذي وقع أن القزم اليهودي ، هذا الانسان التافه ، الانسان الأفاق ، هذا الانسان الذليل ، الذي كان مضرب المثل في الجبن والندالة ، تسلط على « المارد العملاق » لما فقد هذا العاطفة الدينية ، وفقد تلك الاملحة ( المعنوية ) التي كان يتسلح بها .

لقد وقع ما لم يكن يتوقع في المنام قبل أيام ، لقد لحق بنا العار الذي لا يغسله ماء سبعة أبحر ، والتصق بكل مسلم ، وبكل عربي في كل بقعة من بقاع الأرض ، ماذا استفدنا من هذه القيادات اللادينية التقدمية - ؟ ماذا استفدنا من هذه القومية والاشتراكية؟ . إن هذه الحياة كلها قائمة على التجربة . فإذا أصبحنا لانستفيد من التجارب ولا نتلقى منها درساً ، ولا نصصح بها خطأ ، واعتمدنا على الأخيلة والدعاوي . فقد تعرضنا لخطر عظيم ، قد يودي بحياتنا .

وإذا فقدنا هذه الثروة الهائلة التي اكتسبناها عبر القرون والأجيال ، والتي هي تراث المدنية ، وتراث الانسانية ، إذ أصبحت الانسانية لا تعتمد على التجارب فاننا نفقد الثقة بمستقبل الانسان ، وإذا أصبح الانسان لا يؤمن بتجاربه ، ولا يزال يسترسل في



الأوهام والخيالات ، ولا يزال يعيش في البرج العاجي ، فلا معقل  
للإنسانية .

إن العلوم الرياضية كما قلت تقوم على التجارب ، إنها تقوم على  
الاستقراء ، وقد نهضت المدنية نهضتها لما اعتمدت على الاستقراء  
بدل القياس ، فماذا وجدنا لما آثرنا على الاسلام أو على الأقل لما  
تنكرنا للاسلام ، ولما أنكرنا فضل الاسلام في تكوين مجتمعنا ،  
ولما أبينا أن نلتجئ إلى الاسلام ؟ إن هذه السنين تكفي للتجربة .

لقد اجتمع في الشعوب العربية الشقيقة العزيزة من الثروات  
والخيرات ، ومن سائل الحياة ، ومن وسائل المقاومة ، ومن وسائل  
النشر والدعاية ، ما لم يتهيأ لشعوب كثيرة .

لقد كان كل شيء مهيباً لتحقيق النصر ، فماذا كان ينقص هذه  
الشعوب ، إنما كان ينقصها الاخلاص للاسلام ، إنما كانت تنقصها  
الشجاعة التي لا يخلقها إلا الايمان والعقيدة .

كان كثير من القادة يتخرجون ويتضايقون بالتصريح بالاسلام ،  
لقد كان ثقيلاً عليهم أن يقولوا نحن مسلمون ، ونحن نعتمد على  
الله ، ونعتمد على الايمان ونعتز بالاسلام ، فماذا كانت النتيجة ، هل  
نتظر نتيجة أشنع وأبشع ؟ .

لقد وصلنا إلى الدرك الأسفل ، إلى درك ما بعده درك كيف  
يجوز لنا بعد الآن أن نتنكر للاسلام وأن نلتجئ إلى هذه  
الأصنام ، التي نحتناها بأيدينا ، ولا تزال ننحتها ونجملها ، ولا تزال



ندخل عليها تحسينات ( أتعبدون ما تثنون ) ؟ (١)

لقد عكفنا على هذه الأصنام نعبدها ، ورفضنا عبادة الله تبارك  
وتعالى ، واستنكفنا عن الانتساب إلى الاسلام وحده ، فأين ذلك  
« المارد العملاق » الذي بشرنا به ؟

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أولئك النحاف الضعاف ،  
الفقراء الأميون أولئك الذين كانوا لا يقام لهم وزن . كانت  
تزدريهم الأعين ، ثيابهم مرقعة . ونعالهم مخرشفة ، وأجفانهم بالية ،  
ماذا صنعوا من الأعاجيب ، وكيف اكتسحوا العالم من أقصاه  
إلى أقصاه ، وفتحوا نصف المعمورة في نصف قرن ، وكيف أقاموا دولة ،  
وشيدوا حضارة ، وأخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ،  
ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، ومن عبادة العباد إلى عبادة  
الله وحده ؟

إننا إذا تمردنا على هذه الحقائق ، وإذا طمسنا على هذه التجارب ،  
فإننا نسيء إلى كرامة الانسانية ، وننحط إلى مستوى أقل من  
مستوى الحيوانات .

إن الحيوانات تعتمد على التجارب ، إن الحيوان إذا جرب  
شيئاً فإنه لا يعود إليه في الغالب ، فإلنا نعود إلى ما جربناه مراراً  
وتكراراً ؟ إن الحيوان إذا آذاه إنسان أو أهانه يصبح له عدواً ،  
إنه يحمل له حقداً ، إنه يتعد عنه ، ولكننا نحن مستعدون أن

١ - سورة الصافات : ٦٩



نخدع بمن خدعنا ، ونلدغ من جحر مرتين بل مراراً .

إن الذين جروا علينا هذه الكارثة لا يزالون يسيطرون على عقول كثير منا ؛ ولا تزال نخضع لهم بالاجلال والاكبار ، لو كانت عندنا بقية من حياء ، بقية من غيرة ، بقية من إنسانية ، لحاكمناهم محاكمة المجرمين ، القاتلين الذين يقتلون الأمم ، ويدوسون كرامة البلاد ، إنهم جنوا على شخصيتنا ، جنوا على شرفنا ، جنوا على تاريخنا ، وأكبر جنایة جنوها علينا على مر التاريخ أنهم جنوا على تاريخنا .

لقد كان تاريخ الاسلام رصيدنا نلتجىء إليه ، ونستمد منه في كل حين . كان من أقوى الوسائل لاثارة الشعور الاسلامي ، ولاهبا الجذوة الايمانية في الصدور ، لقد كان هذا التاريخ الاسلامي العربي ، تاريخ الفتوح الاسلامية ؛ سندا في خطاباتنا وفي كتاباتنا ، كانت العصا التي نتوكل عليها دائماً ، كعصا موسى التي كان يتوكل عليها ويهش بها على غنمه . وكنا نفتخر به ونستشهد أمام مواطنينا في بلاد العجم ، فنقول : هؤلاء أبطالنا ، هؤلاء قادة الفتح الاسلامي هذا خالد بن الوليد ، وذلك سعد بن ابي وقاص ، وهذا عقبة بن نافع ، وهذا طارق بن زياد ، وهذا محمد بن قاسم ، ونقول :

أولئك آباي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع ،  
أولئك الذين خرجوا بحفنة من البشر ، بقلة من العدد ،  
فقراء لا زاد عندهم ولا مدد ، وفتحوا هذا العالم الواسع ، ولكن  
هذه النكبة أفقدت هذا التاريخ الاسلامي الشيء الكثير من روعته



وجلاله ، وأضعفت ثقة المواطنين في كل بلد بهذا التاريخ ، وأصبحوا يشكون في صدقه ، ويقولون : ( أساطير الاولين ) .

كيف نصدق هذا التاريخ . وكيف نصدق أن تلك القلة غلبت الكثرة ، وهذا العالم العربي ، وهذه الحكومات العربية كلها ، خفت إلى إسرائيل ، ورمت بثقلها عليها ، وتحدثنا تحدياً لم نسمع مثله في الزمن القديم ، تحدياً أصم الآذان وخلع القلوب ، ولكن ماذا رأينا ؟

رأينا هذه الحفنة البشرية ، هؤلاء الشذاذ الافاقين ، هذه الشرذمة القليلة التي لفظتها أراضيا وبلادها ، استولت على هذه الحكومات ، وهناك تخرس اللسان وتتنكس الرقاب ، ويخون الجواب ، إنها خسارة لا تعوض . إنها لغز لا يفض !

ما هو المتوقع والمعقول على إثر هذه النكبة أيها الاخوان ؟  
أليس أن نحكم على الحوادث حكماً صحيحاً ، وعلى الرجال والشخصيات التي تحملت مسؤوليتها ، نقرر أن هؤلاء قد خسروا المعركة ، وأنهم ليس جدرين بالقيادة ، بل إنهم كانوا سبب النكبة وأن الطريق الذي اختاروه طريق عقيم مسدود ، وأن نتبرأ منهم ، ونحملهم تبعه هذه الهزيمة ، وهذه المأساة ، وأن لا نشعر بميل إليهم .

إن الامة إذا كان فيها شعور ، إذا كان فيها وعي ، حاسبت هؤلاء القادة حساباً شديداً .



إنني لا أتحدث عن الوعي الايماني ، الوعي الذي كان يتصف به صحابة الرسول ﷺ ، والتابعون لهم باحسان . إنهم كانوا لا يخضعون للرجال ، إنهم كانوا دائماً يخضعون للحقائق ، ويحاسبون الخلفاء والأمراء على تصرفاتهم وأخطائهم ، ويقولون كلمة حق عند سلطان جائر ، ولكنني أتحدث عن الوعي السياسي بل الوعي المدني الذي رأينا مظاهره ، وأمثله الرائعة في الشعوب المادية ، التي لا تدين بالاسلام .

إن الانجليز والفرنسيين لا يغتفرون للذي يجني عليهم ويلوث كرامتهم ، إن الانجليز لم يغتفروا للمستر ( ايدن ) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ، لما أخفق في معركة السويس ، وألحق بالانجليز العار ، ماذا فعل ايدن ؟ إنما أخطأ في التقدير ، ولكن الشعب الانجليزي لم يسامحه ولم يغتفره ، وقال له : تفضل واترك كرسي الحكم ، واذهب إلى زاوية من التاريخ ، وإلى مؤخر الشعب ، وكذلك توارثت أمم كثيرة ، بغض الرجال الذين تأمروا عليها ، وامتحنوا كرامتها ، ولو ثوا شرفها .

هذه طبيعة في الانسان ، وهو السر في رمي الجمرات ، وقد حافظت الشريعة الالهية على هذه الطبيعة ، فما هذا الرمي عند الجمرات إلا إثارة للبغض والترة التي يجب أن نحملها لعدونا الأكبر ، الذي كان سبب شقائنا ، والذي حاول مراراً أن يمنع إبراهيم من امتثاله أمر الله ، والذي لا يزال قائماً لنا بالمرصاد .  
إن العرب عرفوا في التاريخ بالغيرة الشديدة ، عرفوا بالنخوة



والآباء ، عرفوا بالحكم العادل على أمتهم وعلى أمرائهم ، وعلى صالحهم و زهادهم . لم يهابوهم ، ولم يدهنوا ، ولم يمتنعوا عن كلمة الحق ، هؤلاء العرب نرى عدداً من شبابهم اليوم في بلاد كثيرة ، لا يزالون خاضعين لأولئك القادة الذين ورطوهم في هذه النكبة ، ويصدق عليهم قول شاعرهم القديم :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا  
كأن ربك لم يخلق خشيته سواهم من جميع الناس إنسانا

لقد جربنا أيها الإخوان : أننا لما تجردنا عن الدين ، ولما تنكرنا للإسلام ولما أفلسنا في الروح الدينية فقدنا كل شيء ، إننا لم نعد بشيء . إننا لم نرجع إلا بخفي حنين ، هذه التجربة تكفيننا وتغنينا عن كل تجربة جديدة ، فلنعد إلى الإسلام .

لنعد إلى الإسلام بشجاعة ، لنعد إلى الإسلام بصراحة وصدق . إن الصدق ينجي والكذب يهلك ، إن الصدق هو الذي ينفع الأفراد و الأمم ، إن النفاق لم يغن عن الأقوام ولا يغني .

إن كل محاولة قامت في دور من أدوار التاريخ لصرف هذه الأمة العربية عن منبعها الأصيل ، عن منبعها الذي كانت تستمد منه الإيمان وتستمد منه القوة ، والشرف والوحدة ، أخفقت وباءت بالفشل الذريع ، سواء كانت محاولة مسيئة الكذب ، أو محاولة المتنبئين في هذه الجزيرة أو كانت محاولة القراطمة في ناحية من نواحي هذه الجزيرة نفسها ، أو كانت محاولة الباطنيين والفلاسفة ، أو كانت محاولة القوميين في العهد الأخير ، بمفهومها العقائدي



وفلسفتها القائمة بذاتها .

إن كل محاولة قامت لصرف هذه الامة العربية عن إيمانها، وعن قائدها الذي قدر الله أن يكون الامام الخالد والنبى الخالد لهذه الامة ، الذي هو عنوان شرفها ، ورمز قوتها ، وسر انتصارها ، إن كل محاولة بذلت لصرف هذه الامة عن قائدها وإمامها ، وعن دينها وعقيدتها ، وعن رسالتها ودعوتها وعن منبعها ومرجعها ، فشلت وستفشل ، لنقرر أنه لا ملجأ من الله ولا منجى إلا إليه ، فان قصتنا هي قصة أولئك المتخلفين ، الذين تخلفوا في غزوة تبوك ، وقال الله فيهم ) .

( وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم )<sup>(١)</sup> لقد ضاقت علينا الارض بما رحبت ، هذا بما لا شك فيه ، سيروا في الارض وانظروا كيف أصبحنا أذلاء ، كيف سقطنا في عيون الناس وضاقت علينا أنفسنا ، وهذا ما نشعر به وتشهد به قلوبنا ، وقد رأينا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فالطريق مظلم ومسدود ، فلنقرر الحقيقة ولنعترف بالواقع ، ولنقل بصراحة وشجاعة : إننا لم نستفد شيئاً من الثورة على الاسلام ، فلنحكم على أنفسنا ، ولنقل : لقد أخطأنا ، وإننا نرجع إلى حظيرة الاسلام ، ونرجع إلى قوة

١ - سورة التوبة : ١١٩



الاسلام ، التي لا تزال منتظرة لان تسعفنا ، وتأخذ بيدنا ، وأن ترفعنا من هذا الحضيض الذي تردينا فيه .

أيها السادة الكرام ! إنني أشعر بأنني قد قسوت بعض القسوة على إخوتي الذين أحبهم وأجلهم ، والذين قد ربط الله مصيري بمصيرهم ، والذي جعل الله شرفهم شرفي وهوانهم هواني ، وقد صرخت بهذه الحقيقة ، وأرسلتها كلمة مدوية في الهند في كل مناسبة .

لقد قلت لهم : إن مصير المسلمين في كل بلد مرتبط بمصير العرب ، فإذا عز العرب عز الاسلام والمسلمون ، وإذا ذل العرب ذل الاسلام والمسلمين ، أولئك الذين لا أعدل بهم قوماً ولا أعدل بكتابهم كتاباً ، ولا أعدل بلغتهم لغة ، ولا أعدل بحضارتهم حضارة ، على ذلك أحيى وعلى ذلك أموت ، وما حملني على هذه الصراحة ، أو على هذه المرارة ، إلا أنني آخذ بنصيبي مما أنتم فيه ، فألى الراية المحمدية أيها العرب ، لا إلى الراية القومية ، ولا إلى أي راية جاهلية .

لقد أنقذكم الله من هذه الجاهلية ، وأنقذ أئماً وبلاداً بفضلكم أيها العرب ، فلا تعودوا إلى هذه الجاهلية ، لقد كانت لهذه الأمم جاهليتها ، وحضارتها وشعاراتها ، وأنساب تفتخر بها ، وآداب وتقاليد تعض عليها بالنواجذ ؛ ولكنكم حملتم إليها رسالة الاسلام ، فأنقذتموها من هذا المستنقع ، فكيف يجوز لكم أن تعودوا إلى



جاهليتكم .

وأنتم أيها الاخوة العرب ، يا أهل مكة ، يا سدنة البيت  
الحرام ، بنيتم بيدكم العفيفة النظيفة ، الكريمة الشريفة ، هذا البيت  
ليعلو على البيوت كلها ، وليعلو على الاصنام ؛ ويعلو على الهياكل .  
كيف يجوز لكم أن ترجعوا إلى هذه الهياكل الظالمة المظلمة ؛  
الوسخة المتعفنة ؟ .

من هنا ارتفع الصوت الذي دوى في الآفاق ؛ وحطم الاصنام ،  
وفك السلاسل والاعلال ، وغير مجرى التاريخ ، وقلب تيار  
الحوادث ، من هنا انبثق ذلك النور الذي انتشر في العالم ، وأنقذ  
الامم . وأحيا الرمم ، وأحيا النفوس البشرية ، فكيف يجوز  
لكم أن تعودوا إلى هذه الجاهلية البالية التي أصبحت اوربا تعافها ،  
وأصبحت الامم الجاهلية التي عكفت عليها قرونا وأحقاباً تتبرأ  
منها ؟

إذا كانت اوربا قد رفضت هذه القوميات ، وعرفت معرفتها ،  
وعرفت جنابيتها على الانسانية ، كيف يجوز لكم أن تتناولوا  
هذه اللقمة التي لفظتها اوربا من فمها ، كيف يجوز لكم أن  
تتلقموها ، أنتم يا كرام الناس ، يا أولئك الذين كانوا يرفدون  
القبائل ، ويصدقون على الفقراء ؟ .

العالم كله في ضيافتكم وعلى مائدتكم ، فحرام عليكم أن  
تعيشوا على فتات مائدة غيركم ، على العظام البالية النخرة .



إن موقف كثير من إخواننا العرب في غير هذه البلاد موقف  
مخرجنا ، موقف يخرج الدعوة في الهند وباكستان وبلاد العجم ،  
موقف يخرج أولئك الذين لا يعرفون غير الإسلام ديناً ، وغير  
القرآن كتاباً ، وغير الشريعة نظاماً وقانوناً ، وغير محمد بن عبد  
الله إماماً وقائداً .

عظفاً عطفاً ، رفقاً رفقاً ، أيها العرب ، لا تخرجونا عند مواطنينا ،  
لا تخرجونا في بلاد بعيدة عن مهد الإسلام .

إذا لم تحسنوا إلينا ، فبالله لا تسيئوا إلينا ، إذا لم تزيدوا في  
قوتنا ، فبالله لا تنقصوا من قوتنا ، من حماسنا ، من ثقتنا بالإسلام ،  
من ثقتنا بنفوسنا المؤمنة ، من ثقتنا بتاريخنا الإسلامي ، من ثقتنا  
بأنكم أصحاب الفضل في إسلام هذه الأمة ، التي كانت تتسكع في  
الجهالات ، وكانت ترسف في القيود والاضلال ، وكانت تتورط  
في الأحوال والمستنقعات .

رفقاً ، أيها العرب ، رفقاً بإقامة مصر ، رفقاً بإقامة سورية ،  
إرحموا المسلمين ، أولئك الذين يكافحون الشعارات الجاهلية ،  
ويهتفون بالإسلام ، ويهتفون بالقرآن .

إن موقفهم دقيق ؛ أنتم الذين أنشأتم هذه الأجيال المؤمنة .  
وكانت في جاهليتها تعبد البقر وتعبد الشجر والحجر ، ولا تزال  
منها بقية في آسيا وأفريقيا . إنها تنظر إليكم كفقير بائس و كجائع  
عطشان ، وتقول لكم بلسان الحال : ( افيضوا علينا من الماء



أو بما رزقكم الله) . أفيضوا علينا من مائدة محمد بن عبد الله ﷺ  
لا تكونوا أقل اعتزازاً به وافتخاراً من الاعاجم ، أنتم أولى به  
من أولئك الذين لم يتصلوا به بنسب ، ولم يتصلوا به بلغة ، ولم  
يتصلوا به بوطن ، ولم يتصلوا به بدم .

ترون الرجل في الهند إذا ذكر اسمه ترنحت أعطافه ، واهتزت  
مشاعره ، والتهبت جذوته وتفتحت قريحته ، فأصبح ليشاً مغواراً ،  
هؤلاء الاتراك لا يزال لهذا الاسم سحر في نفوسهم ، ليس  
لكلمة أخرى من أسماء السادة والقادة .

قولوا محمداً وسلوا ماشئتم ، استخدموهم كالعبيد ، استخدمونا  
نحن الهنود باسم الاسلام . كيف يأتي الناس يسعون على رؤوسهم ،  
وعلى عيونهم إلى هذا البيت من كل فج عميق ، ولا تزال تلك القوة  
الكبرى التي لم يعرف العالم في تاريخه الطويل قوة أكبر منها ،  
فوالله إن أوربا ترتعد فرحاً من هذه القوة ، وإنما نامت النوم  
العميقة الحلوة بمد هذه النكبة .

إنني أرجوكم أن تسامحوني إذا قسوت بعض الشيء ، فمادفعني  
إلى ذلك إلا الاخلاص ، إن مثلي ومثلكم كما قال رسول الله ﷺ :  
« المحيا محياكم والممات مماتكم » .

فوالله لولا هذه الرابطة الحبيبة ، الرابطة التي أكرمنا الله بها ،  
لكان لنا تاريخ غير هذا التاريخ ، وكان لنا وضع غير هذا الوضع .  
الاسلام هو الذي يربطنا بكم ، ويربطكم بنا ، هذا الاسلام  
الذي نريد أن نلتقي عليه ، وأن نتولوا قيادته من جديد .







## تَعَالُوا نَحَاسِبْ نَفُوسَنَا وَقَادَتَنَا

سادتي وإخواني ! (\*)

إنني أذكر لكم حادثاً من حوادث التاريخ الذي هو الفصل الخامس ، الذي افتتح به تاريخ الدعوة الإسلامية ، بل أفتتح به تاريخ جديد للإنسانية ، وهو الساعة الدقيقة التي وقف فيها رسول الله ﷺ على جبل الصفا ، ونادى بأعلى صوته : يا صباحاه !

وكانت هذه الكلمة معروفة عند العرب ، إذا كانت هنالك إغارة سرية ، غارة من جيش كامن بالمرصاد ، وانتبه لها أحد أبناء البلد ، إنه يرتقي جبلاً من الجبال ، أو هضبة من الهضاب ، وينادي بأعلى صوته يا صباحاه !

فيفهم الناس ، أن هنالك خطراً على المجتمع ، خطراً على البلد ، فيهرعون إليه ، ويتركون ما هم فيه من أشغال ، ومن تجارات ،

---

\* ألقى هذا الحديث في بلد عربي كبير ، في ٢٤ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٧ من نوفمبر ١٩٦٨ م ، وقد نقل من الشريط ، وتناوله صاحب الحديث بكثير من التنقيح والتهذيب ، وحذف المكررات والمرادفات ، وتصحيح بعض الأخطاء التاريخية التي وقعت في الكلمة المرثجة .



ومن صناعات ، ويقبلون إلى هذا الداعي ، ليستفسروه عن هذا  
الخطر الكامن .

فلما ارتقى رسول الله ﷺ جبل الصفا و نادى بأعلى صوته «يا صباحاه»  
وكان هذا الصوت الحنون أليفاً ، وكان مصدر أكبر ثقة يتمتع  
بها إنسان .

لم يكن صوتاً عادياً يصدر عن شفتي رجل عادي ، إنما هو  
صادر عن شفتي رسول الله ﷺ الذي لقبوه قبل النبوة بالصادق  
الأمين .

فلما سمعوا هذا الصادق الأمين ، يرفع هذا الصوت ؛ وكان  
عهدهم بهذا الصوت أنه لا يكون فيه مبالغة أو مجازفة ، وأنه  
لا يكون فيه مجرد إعلان ، وإزعاج وإنذار .

فعرفوا أن هنالك خطراً كبيراً ، فخف الناس إليه سراعاً ،  
 واجتمع أهل الوادي في سفح الجبل ، ورفعوا رؤوسهم ، وفتحوا  
عيونهم ، وشخصوا بأبصارهم إلى رسول الله ﷺ ، إلى محمد بن عبد الله  
القرشي الهاشمي ، ماذا : سيقول لهم

فقال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني  
كعب ، «أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن  
تغير عليكم ، صدقتموني ؟» .

وكان العرب على أميتهم ، وبالأصح على جهلهم لصناعة العلم ،  
قد رزقهم الله الذوق السليم ، والنظر الصائب ، فاستعرضوا الجو ،



استعرضوا الواقع الذي كانوا فيه ، فرأوا أن رجلا قد ارتقى الجبل ويرى ما وراء الجبل وأمام الجبل ، فله الحق كل الحق في أن يخبر بأي شيء ، لا يراه الذين وقفوا في سفح الجبل ، ولا يتجاوز بصرهم وراء الجبل .

إنما كانوا يحتاجون إلى عقل سليم ، فهذا العقل السليم هداهم ، وقد أرشدهم إلى أن إنذار هذا الرجل الذي قام على قمة الجبل في محله ، وله الحق في أن يخبرهم بشيء لا يرونه بالأبصار ، فصدقوه ، وقالوا : ما جربنا عليك كذبا ، وما وجدناك إلا صادقا أميناً ، فلما قالوا ذلك ، قال :

« فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

ماذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام لهم ؟ إنما قال لهم : إن هذه الحياة التي تعيشونها يا أهل الوادي ، هي أكبر خطر وخطية عليكم ، عدو كما ن تحسبون له حساب .

إنني إذا أخبرتكم أن وراء الجبل كتيبة تريد أن تنتهز أول فرصة للهجوم ، وتغير عليكم على غرة ، فأنتم تحسبون له الف حساب وأنتم تسرعون إلى بيوتكم لتحملوا السلاح ، وتأخذوا أهبتكم وتستعدوا لمقاومته .

ولكن مالي إذا قلت لكم : إن هذه الحياة التي تعيشونها ، وإن العقائد التي تدينون بها . وإن منهج الحياة الذي آثرتموه ، وإن هذا الطراز من المدنية ، وهذا الطراز من الأخلاق ، إن هذه



المثل العليا التي آمنت بها ، وإن هذه الأصنام التي خضعت لها ،  
وعكفت عليها عبادة وتسبيحاً ، وتعظيماً وتقديساً ، إن هذه الحياة  
هي أكبر خطر عليكم ، هي أكبر تحد لما أنتم فيه من هو ولعب  
ومن جهل وسفاهة من هذا الجيش الكامن ، لأن هذه الحياة هي  
مصدر كل خطر .

إن قريشاً بعقولهم القاصرة ، وبتجارهم المحدودة ، وبعقلهم  
الضيق ، كانوا لا يصدقون بوجود خطر ، إلا في جيش مغير ،  
إلا في جيش واقف بالمرصاد ، إلا في غارات قبلية قد  
جربوها .

وكان علمهم محدوداً في هذا النطاق ، فنبههم رسول الله ﷺ  
أن نفس الحياة التي يعيشونها ، هي الخطر الحقيقي ، وهي مصدر  
كل بلاء ، ومصدر كل شقاء ، ومصدر كل قلق ، ومصدر كل  
إخفاق .

هو المصدر الواسع الذي كان بقاؤه وحده كافياً ليكونوا على  
حذر ، وليكونوا على يقين ، وإيمان بالخطر ، هذا الوتر الحساس  
الذي ضرب عليه رسول الله ﷺ ، فها دام هذا الخطر فيهم ، فلا  
حاجة إلى خطر خارجي .

ولم تزل هذه نقطة ضعف في الفطرة البشرية ، إنها تؤمن بالأخطار  
من الخارج دائماً ، إنها تؤمن بالأعداء الأجانب ، إنها تحسب لهم  
كل حساب ، ولكنها تغفل عن مصادر الخطر العميقة الأصيلة ،



الكامنة الدفينة ، في نفوس الشعب ، وفي قلوب الشعب ، وفي الحياة الاجتماعية ، والاخلاق العامة .

فنبه رسول الله ﷺ ، وقال لهم بلغة بليغة كان يفهمها عقلاء قريش وفضلاؤهم ، وكانوا أهل اللغة ، يجب عليكم أن تنتبهوا لهذا الخطر الداهم ، لهذا الخطر الدائم ، لهذا الخطر الكامن الدفين في نفوسكم ، لهذا الخطر الذي لا يرى بالابصار . فأنتم في خطر وعلى شفا جرف هار ما دمتم في جاهليتكم ووثنيتكم ، وما دمتم تؤثرون المصلحة الفردية على المصلحة الاجتماعية ، وتؤثرون العاجلة على الآجلة ، وتؤثرون القوي على الضعيف وتنتصرون له .

وما دمتم تعبدون المادة ، وما دمتم تعبدون القوة ، وما دمتم تقدسون الاصنام التي تنحتونها بأيديكم أكانت من الحجارة ، أو كانت من صنع الرجال ، أو كانت من تفكير العقول ، أو كانت من وحي الدراسة ، أو كانت من وحي الاطراف أو الخيالات .

ما دام لكم هذا الوضع ، فإنه مصدر كل خطر ، وإن مثلكم كمثل ركاب سفينة يركبونها ، وفي هذه السفينة ثقب واسع يدخل منه الماء بقوة وسرعة ، ولكنهم لا يعتنون بهذا الثقب وقد قرأوا في حكايات « سندباد البحري » وفي رحلات « جلفر » عن قرصان البحر الذي حدث عنهم الرحالون في الشرق والغرب ، فهؤلاء يحسبون لهم كل حساب ، ولكنهم لا يعتنون بهذا الثقب



الواسع في جوف السفينة الذي يفور منه الماء ، ويدخل منه  
بقوة وسرعة .

هذا مثال لمجتمعنا الحاضر أيها الاخوان ! لم يكن هذا المثل  
الحكيم الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتخذ له طريقة حكيمة لم  
يسبق اليها ، لم يكن مثلاً محدوداً خاصاً بالمجتمع القرشي ، المجتمع  
المكي القاصر المحدود الذي نقرأ عنه في التاريخ ، إنما هو مثل  
حكيم في كل عصر ، ومثل منطبق علينا كل الانطباق ، مثل  
دافق بالحياة ، انه تصوير دقيق لمجتمعنا .

اننا نخاف الاوباء ، ونخاف الامراض ، ونخاف «المكروب»  
ونحسب له حساباً دقيقاً ، ونبعد ونؤمن بالخيال .

حتى اذا قال أحد : ان هنالك حادت موت بالكوليرا ، فان  
كل البلد ينتشر فيه الذعر ، ويستولي عليه الخوف ، ويعتقد كل  
واحد انه أول فريسة لهذا الوباء ، ولكن هذه الامراض الخلقية ،  
هذه الاخلاق التي يبغضها الله ورسوله ، عبادة المادة وعبادة  
الشهوات ، وعبادة القوة أيما كانت ، والانحراف مع الهوى ،  
والانسحاق مع الرغبات ، والانغماس في الهوى والمذات ، والنهم  
بالغناء والطرب ، ووسائل التسلية والترفيه ، والطاعة العمياء  
المطلقة للقيادات والشعارات ، والزعامات والهتافات ، والتعامي  
عن الحقائق ، وعدم الاعتبار بالتجارب المتكررة ، والاسترسال  
في الاحلام ، والاسترسال في الاماني ، والتقديس للبشر إلى غير



نهاية ، واعتقاد العصمة فيهم عن الخطأ والضلال ، وتقديس الابطال  
وتقديس الزعماء ، وتقديس القادة السياسيين وغير السياسيين .

هذا وضع أكثر خطراً ، وأكبر جناية ، وأكبر تحدياً لوضعنا  
الحاضر ، ولجتمعتنا الحاضر الذي نعيش فيه ، من الف عدو ومن  
الف جيش ، وهذا هو المثل الحكيم الذي ضربه رسول الله ﷺ  
لكل زمان ومكان ، ونحن نعيش في مثل هذا الوضع .

إننا نتعامى عن الحقائق الراهنة ، ونأبى أن نعتبر بالدروس ،  
أن نعتبر بالتجارب ، إنه وضع خطر جداً .

إن الله سبحانه وتعالى قال : « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا  
ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون »<sup>(١)</sup>  
وهنا موضع الاعجاز « وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون »  
لماذا لم ينتفعوا بهذه التجارب ، ولماذا لم يتلقوا درساً من تلك  
الحوادث والكوارث التي دهمتهم ؟

لان الشيطان قد وضع لهم فلسفة جديدة ، واخترع لهم أسماء  
جديدة ، وفتح لهم باباً واسعاً في التأويل ، فضاعت العبرة ،  
وضاعت الذكرى ، وخذروا نفوسهم وعقولهم بأسباب وعلل  
تكوينية وطبيعية ، وبرروا حياتهم الاولى ، ودافعوا عن أخلاقهم  
وعاداتهم ، إنها معجزة خالدة من المعجزات القرآنية .

---

١ - سورة الأنعام : ٤٣ .



وأعاد التاريخ نفسه ، وأعادت الطبيعة البشرية المادية منهجها ، فأصبنا بالكارثة الكبرى في خامس حزيران ( ١٩٦٧ م ) و كانت نتيجة لمنهج طويل آثرناه في حياتنا الاجتماعية ، ولاخرفاف بعيد عن جادة الدين والفطرة السليمة ، و كانت نتيجة عوامل كثيرة كانت تشتغل في زمن بعيد .

فوقف قادتنا بين الشعوب العربية ، وبين الاعتبار والانتفاع بهذه النكبة ، فوضعوا لنا فلسفات جديدة ، واخترعوا لنا أسماء جديدة ؛ فقالوا : إنما هي نكسة لا نكبة ، وإنما هو انتصار لا اندحار ، وإنما هو فتح مبين لم يسمع بمثله ، وإن كل ما فوجئنا به نتيجة الرجعية الباقية في الشعوب العربية ، وصدق الله العظيم : « وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

هذه حالة خطيرة أيها الاخوان ! إن التجارب الانسانية ثروة ثمينة يعتز بها الانسان في كل زمان ومكان ، لو أبطلنا هذه التجارب ولو أبطلنا حكم العقل ، وحكم الحواس البشرية ، لو أبطلنا حكم الآذان والعيون ، وقلنا نبصر وننكر ، ونسمع وننكر ، ونتلقى دروساً على دروس ، ثم نرفضها ، هذه حالة خطيرة جداً ، هذا نذير من النذر ، معنى ذلك انا فقدنا الصلاحية .

إن الأمة العربية تجتاز الآن مرحلة دقيقة حاسمة في تاريخها ، وهي مرحلة ، لا أقول : مرحلة هزيمة ، ولا أقول : مرحلة نكبة إنني لا أخاف عليكم هذه النكبة ، فالأمم ذات الدعوة ، الأمم



ذات الرسالة ؛ الأمم ذات التاريخ ، الأمم ذات الضمير الحي ،  
ذات القلوب النيرة ، ذات القلوب الحية ، ذات القلوب الدافقة  
بالحياة تمر بهذه المراحل ، وأنتم مررتم بمراحل كثيرة .

زحف الينا الزحف الصليبي ، زحف الينا الزحف التتاري ،  
الذي كاد يأتي على آخر رمق للمسلمين ، ولكن لم يكن هنالك  
موضع يأس وتشاؤم ، لأن ضمير المسلم كان حياً ، ولأن عقل  
المؤمن كان واعياً ، لأنه كان عنده تمييز بين الخير والشر ، كان  
يميز بين عدو وصديق ، وبين نافع وضار ، وكان المسلم جريئاً ،  
كان صريحاً ، وكان شجاعاً .

إنني لا أخاف عليكم مثل هذه النكبات ، ولكنني أخاف  
عليكم هذا الضمير الذي قد توقف عمله ، ما عمل الضمير ؟ عمل  
الضمير الاحتساب ، عمل الضمير المناقشة ، ولو كانت غلطة من أب  
كريم ، أو سيد عظيم ، إذا مات هذا الضمير ، أو توقف عن العمل  
إذا توقف عن الانتفاع ، إذا توقف عن الاعتراف بالحقائق ، هنالك  
الخطر الأكبر ، هنالك تموت الانسانية .

يموت إنسان واحد ، ويولد الف إنسان ، هذه سنة الله ، هذه  
الطبيعة البشرية ، ولكن إذا مات الضمير ، إذا مات الضمير  
الجماعي ، إذا مات ضمير الأمة ، هنالك الموت الرهيب ، هنالك  
النكبة التي لا نكبة بعدها ؛ وإذا انقطع هذا الحساب ، وإذا  
أصبح مكان أخطأت ، أصبت ، ومكان أسأت أحسنت .



إنكم تعرفون ، أن كل أمة تمر بهذه المراحل إنها تنتقل من هزيمة إلى انتصار . ومن انتصار إلى هزيمة ، ومن هزيمة إلى هزيمة أخرى ، لا ثقة بأمة ، ولا بصلاحياتها للحياة ، إلا إذا مرت بهذه المراحل كلها ، لذلك قدر الله تبارك وتعالى للرسول ولاصحابه بعض الانتكاسات ، فقال : « ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً . وضقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (١) .

إنها تربية ربانية ، لا فضل للأمم والشعوب ، ولكن المعول على العقائد والرسالات ، ليس المعول على هذه الاجسام ، المعول على القلوب ، المعول على الضمائر .

إذا كان شعب لا يستطيع أن يقول لقائده : أخطأت ، هذا شعب يستعبده كل طاغية ، ويسخره كل جاهل سفیه . هذا الشعب فريسة لكل طغيان ، فريسة لكل استعمار .

لماذا كان الاستعمار بغيضاً أيها السادة ، لأنه استعمار قلوبنا ، واستعمار نفوسنا ، واستعمار أرواحنا ، واستعمار عقولنا ، فهل الاستعمار بغيض إذا جاء من أجنبي ، وهل الاستعمار حبيب إذا جاء من وطني ؟

لقد أعطاكم الله الميزان لتقيموا القسط في الناس ، لتكونوا شهداء على الناس :

١ - سورة البراءة : ٢٥ .



« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ،  
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب  
للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون » (١) .

أمر الله تعالى بالعدل مع الأعداء ، والاخوان والآباء ، فأنتم  
إذا فقدتم الميزان ، إذا كان شيء ينسب إلى أجنبي فهو بغيض ، فهو  
قبیح ، أما إذا كان ممن يتصل بنا بالنسب ، من يتصل بنا بالقومية ،  
ثم يتسلط علينا هذا التسلط الراجع ، فنحن نخضع له كل الخضوع ،  
ونعطل له العقول والضائر ، هذا والله هو الخطر الحقيقي .

إن هذه الأمة قد ربط بها مصير الأمم ، فكيف تكون هذه  
الأمة شهيدة على الأمم جميعاً وكيف تكون رقيبة للأمم جميعاً ،  
وكيف تكون محاسبة للأمم جميعاً ، إذا لم تنصف قادتها ، لم تنصف  
زعماءها ، ولا تميز بين الحق والباطل ، لا تميز بين الناصح والغاش ،  
وإنما تستسلم هذا الاستسلام الفظيع ، وتدعن هذا الأذعان الشائن  
وتستكين هذه الاستكانة الذليلة ، وتفقد هذا الضمير الذي منح  
الدنيا هذه المدنية المشرقة ، منح الدنيا هذه العلوم المزدهرة ،  
منح الدنيا هذا التاريخ المجيد ، حين كانت الدنيا على وشك  
الانهيار .

« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين



قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على شفا حفرة من النار  
فأنقذكم منها « (١) .

هذا الضمير يتوقف عن العمل ، هذا والله خطر ، ليس خطراً  
على العرب وحدهم ، وليس خطراً للمسلمين وحدهم ، بل هو خطر  
على الانسانية كلها .

فانه موضع أمانة الله ، إنه موضع سر الله ، قد أودع سره في  
هذا الضمير المسلم ، وجعل كل مسلم وصياً على العالم ، وميزان  
عدل في كل زمان ومكان ، ميزاناً يحكم بدقة ويحكم بأمانة ،  
ويحكم بصراحة ، لا يفضل إنساناً على إنسان ، ولا يفضل فرداً  
على فرد ، إنه حكم دقيق عادل ، فاذا فقد هذا الميزان عمله ، إذا  
فقد الملح ملوحته فمن أين يملح الطعام ؟

يا إخواني ! ليست المصيبة أن الطعام غير صالح ، المصيبة أن  
الملح فقد ملوحته ، إن المصيبة أن الميزان قد توقف عن العمل وما  
عاد محايداً ، إنه قد أصبح صديقاً لبعض وعدواً لبعض .

إنني لا أخاف النكبات ، إن الجمره الايمانية لا تزال كامنة في  
نفوس المسلمين وفي نفوس العرب ، وأنا أو من كل الايمان ، بان  
هذه الجمره مستعدة للالتهاب إذا وجدت من يلهبها وينفض عنها  
الغبار ، غبار المدنية الزائفة ، غبار الاسترسال في الاحلام

---

١ - سورة آل عمران : ١٠٣ .



والاوهام غبار حب الذات ، غبار كراهية الموت ، غبار الاشفاق  
من الخطر .

إذا امتدت يد كريمة أمينة ، مؤمنة بالله ورسوله ، ونفضت  
الغبار عن هذه الجمرة الإيمانية ، فإن هذه الجمرة مستعدة للالتهاب  
والإلهاب ، إنها مستعدة للاشتعال والإشعال ، فإنني لا أخاف من  
هذه الجهة ، ولكنني أخاف من عدم تلقي الدروس من الحوادث .

إننا نقرأ في تاريخ الرومان ، أنهم كانوا يؤمنون بالالهة ، إله  
الحرب ، إله البر ، إله البحر ، ولكنهم كانوا يغضبون في بعض  
الأحيان على هذه الالهة « الخيالية » ويشورون عليها ، إذا خانهم  
النصر ، ولم تتحقق آمالهم ، وقد حدثنا التاريخ أنه لما غرق أسطول  
للأمبراطور أغسطس استشاط غضباً ، وحطم تمثال نيبتون إله البحر ،  
لأن هذه هي الطبيعة الأنسانية .

أما نحن المسلمين ، فمؤمنون موحدون ، مؤمنون بالله تعالى ،  
لا يجوز لنا أن نؤمن بقيادة إيماناً كاملاً مطلقاً كإيماننا بالله و كإيماننا  
بالرسول ، يجب علينا أن نحاسب القادة والزعماء ، يجب علينا أن نحاسب  
نفوسنا ، وأن نحاسب أوضاعنا الإجتماعية ، وأوضاعنا الخلقية ، وأوضاعنا  
السياسية ، أما الطاعة العمياء لفرد أو جماعة فتقودنا إلى متاهة لا رجعة منها ،  
ولا هدى فيها ، وتدفعنا إلى هوة لا قرار لها ، وعدم محاسبتها ، أو  
مراجعتها في شيء ، فهي الطاعة التي قال الله عنها :

« واتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه



يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورد واتبعوا في  
هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (١) .

إن الله تعالى أمرنا بالكفر بالطواغيت التي تتسلط على البشر في  
كل مكان وزمان ، وهناك أنواع من الطواغيت ، ولكن هذه  
الطواغيت إذا تسلطت علينا ، فلا يجوز لنا كسامين أن نقدمها ، وأن  
نعتقد فيها العصمة ، بل طلب الله منا ، أن نتبرأ منها ونكفر بها ،  
قال ابراهيم :

« إنا براءٌ منكم وما تعبدون من دون الله كفونا بكم وبدنا  
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده (٢) » .

وقال رسول الله ﷺ مرة : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »  
فعجب الصحابة رضي الله عنهم لأنهم تربوا تربية دقيقة ، إنهم عرفوا  
أن الرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ولكنهم  
كانوا يستعملون عقولهم فيما يقوله ، ويراجعونه فيما لا يفهمونه فقالوا :  
ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً يا رسول الله ؟ ففسر لهم رسول  
الله ﷺ كلمته ، فقال : إن نصر الظالم أن تكفه عن الظلم ، وكذلك  
الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون أنه لا طاعة لمخلوق في معصية  
الخالق ، وإليك ما يدل على ذلك :

بعث رسول الله ﷺ سرية ، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار ،

١ - سورة هود : ٩٧ - ٩٨ - ٩٩

٢ - سورة المتحنة : ٤



ذلهما خرجوا وجد عليهم في شيء قال : فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال فاجمعوا لي حطباً ، ثم دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم قال : عزمت عليكم لتدخلننها ، قال : فقال لهم شاب منهم : إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار ، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله ﷺ ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها . قال : فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال لهم : « لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً ، إنما الطاعة في المعروف » (١) .

إنني أريد أن أقول لكم مرة ثانية : هذه الحياة التي نعيشها في البلاد العربية ، هذه الحياة اللاهية المترفة ، هذه الحياة المتعامية عن الحقائق ، الحياة التي تستند دائماً إلى الملهي وتوافه الامور ، هذه الحياة التي قد غلب فيها الهزل على الجد ، اسبحو لي أن أقول بصراحة : هذه الحياة التي قد غلب فيها الجبن على البطولة ، هذه الحياة التي قد غلب فيها حب المادة - إذا قلت لكم على حب الله ورسوله وعلى حب المال في سبيله فإني لا أكون مبالغاً مجازفاً في القول . هذه الحياة التي إذا رآها انسان من بعيد ، إذا زار انسان بلداً عربياً ، ورأى هذه المهازل ، ورأى هذه الملهي ، ورأى هذه الاغاني في حالة الطواريء ، على أثر نكبة نكبت بها هذه الامة استغرب - جداً ، وانهم سمعه وبصره ، هل الذي يراه حقيقة أم خيالاً ؟ .

إننا نعيش في حالة الطواريء ، كان الاحرى بالبلاد العربية ،

---

١ - رواه الجماعة عن علي (رض) (إلا ابن ماجه)



والعواصم العربية أن تكون كلها في حالة الطوارئء ليلاً ونهاراً :  
كله جد ، كله لباب ، كله تقشف ، كله حذر وإشفاق .

لولا هذه العقيدة الكريمة التي نلتقي عليها ، ولولا أن مصيرنا  
مرتبط بمصيركم ، وبمقدار ذلكم نذل ، وبمقدار شرفكم تتشرف ،  
إننا نحاسب بما يقع هنا لما كان لي حق في محاسبتكم ، الامم  
والشعوب تعيش بالمحاسبة ، لولا هذا الحساب الدقيق ، لولا هذا النقاش  
المخلص ، لولا هذه الغيرة في الشعوب الاوربية ، لضاعت وطويت في  
سجل التاريخ من زمان ، ولكنها عاشت ، ولا تزال تعيش بفضل  
هذا الحساب . إنها لا تسمح لاي قائد أن يقدر دائماً ، أن يمجد دائماً ،  
أن يتولى الحكم دائماً مهما أخطأ وأساء ، وجنى على أمته وبلاده .  
هكذا كان المسلمون ، وهكذا كانت قاداتهم وأمرائهم ، وهكذا  
كانت جيوشهم وعساكرهم .

وأحكي لكم قصة من تاريخ الفتح الإسلامي في الهند ،  
ولمؤسس الحكم الإسلامي في هذا القطر : لما زحف شهاب الدين  
محمد بن سام الغوري<sup>(١)</sup> على الهند ، قاتله بتهور أملك أجمير قتالاً  
شديداً ، وانهزمت عساكر المسلمين هزيمة منكرة ورجعت إلى  
لاهور ، واعتصمت بها ، وعاتب السلطان الامراء الغورية وامراء  
خراسان ، الذين لم يثبتوا في المعركة عتاباً شديداً ، وعلق في

---

١ - م سنة ٦٠٢ هـ « مقتبس من كتاب « تاريخ هندوستان » للمؤرخ  
الهندي ذكاء الله ، الدهلوي الجزء الأول ص ٣٥٧ ، ومن كتاب « نزهة  
الخواطر » للمرحوم السيد عبد الحي الحسيني ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٦



عنق كل واحد منهم عليق شعير ، وقال : أنتم دواب ، ما أنتم  
أمرأء ! وسار إلى غزنة - عاصمة ملكه - بعد العدة للكرة -  
بعد الفرة - ، وظل لا يهنا له طعام ولا شراب ، ولا يجلو له نوم  
ولا راحة ، ثم ركب في جيش عظيم ، ولم يستشر في ذلك أحداً ،  
ولما سأله أحد الأمراء عن قصده ، تنفس الصعداء ، وقال إنني لم  
أنم على فراشي منذ لقيت الهزيمة من أمرأء الهند ، ثم حسر قباه ،  
وقال : ترى أنني لم أغير ثيابي منذ ذلك اليوم ، وقال : إنني لم أر  
وجه هؤلاء الأمراء الذين خذلوني في الميدان ، وأسلموني إلى العدو .  
وقال يخاطب جيشه : إنه يتحتم علينا نحن المسلمين ، أن نغسل هذا  
العار الذي لحق الإسلام والمسلمين ، وأن ننفض عنا غبار الهزيمة  
التي لقيناها في العام الماضي ، فوضعوا أكفهم على السيوف ، وأطرقوا  
رؤوسهم سماعاً وطاعة ، ثم توجه إلى الهند ، وبعث برسالة إلى بتهورا  
يدعوه إلى الإسلام والطاعة ، وأخذته العزة بالإسم ، فرفضه في كبر  
وغضب ، وحمل السلطان عليه حملة شديدة ، وأنتصر أنتصاراً  
باهراً ، وتأسست الحكومة الإسلامية في الهند ، التي دامت - في  
أشكال مختلفة - أكثر من سبعة قرون ، وكان ذلك في  
سنة ٥٨٨ هـ ( ١١٩٣ م ) .

إذا كانت عجوز تستطيع أن تحاسب عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه (١) ، فلماذا لا يجوز لأي مسلم ، ولأي كاتب ومؤرخ ،

١ - قال الحافظ أبو يعلى : ركب عمر بن الخطاب رضي الله عنه منبر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس ، ما إكثاركم في صداق



ولأي متألم بهذه الأوضاع أن يحاسب القادة والزعماء؟، وكان كل مسلم يستطيع أن يحاسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال مرة وهو على منبر الرسول ، اسمعوا وأطيعوا ، فقال أحد الصحابة « لا نسمع ولا نطيع » ، قال لماذا؟ قالوا : لأن عليك بردتين من الغنيمة ، وعلى كل واحد منا بردة ، فلماذا هذا الفرق بيننا وبينك؟ فقال : هل هنا عبد الله بن عمر ، فقام ، وقال : إنه كانت له بردة واحدة ، فأعطيته بردتي ، فقال الأول : إذن نسمع ونطيع . وهكذا عاشت هذه الأمة ، وقاومت جميع النكبات والكوارث التي مرت في تاريخها ، لأنها كانت أمة واعية ، تقول الحق ، وتحكم بالعدل ، وتحاسب وتناقش ، وهكذا تستطيع هذه الأمة أن تعيش في المستقبل .

أيها الإخوان ! إنني أشكركم من أعماق نفسي ، واطلب منكم عدم المؤاخذة إذا صدرت مني كلمة أساءت إلى أحد من الإخوان ، أو جرحت شعوره ، فوالله لم يكن دافعها والحامل عليها ، إلا

---

النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والصدقات فيما بينهم اربعمائة درهم ، فما دون ذلك ، لو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله وكرامة لم تسبقوهم إليها ، فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على اربعمائة درهم قال ، ثم نزل : فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على اربعمائة درهم ، قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال : وأي ذلك؟ فقالت : أما سمعت الله يقول : « وآتيتم إحداهن قنطاراً » الآية قال : فقال : اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر !



الإخلاص وبذل النصيحة، والشعور بالمسؤولية المشتركة، وأنا معكم  
كما قال الشاعر العربي :

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشد







## نظامان إلهيات للفلبية والإنصار

قال بعد ما حمد الله ، وصلى وسلم على رسول الله : (١) .

أما بعد ، فيا سادتي وإخواني ! إن موضوعي اليوم « الطريق إلى النصر » موضوع مطروق متداول ، ولو طرح لأي واحد من عامة المسلمين ومن أهل البلد ، فضلا عن المثقفين ، فضلا عن قادة الفكر ، وفضلا عن حملة الأقلام والمؤلفين ، لكان له جولة و صولة في هذا الموضوع ، ولكنه إذا بحث ونوقش في مثل هذا المجلس الموقر الذي يضم هذه المجموعات الطيبة المثقفة ، كانت له روعة ، وقد يثير جوانب من التفكير .

---

١ - كلمة ألقى في ١٦ - من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ في قاعة المدرسة الثانوية بالمدينة المنورة ، بعنوان « الطريق إلى النصر » وكان حفلا تاريخياً مشهوداً ، لم ير مثله في البلاد المقدسة منذ أمد بعيد ، وقد حضره العلماء والأساتذة وشباب المدارس والكليات والجامعة الإسلامية ، والمثقفون ، في عدد كبير ، وكان الحفل تغشاها سحابة من سكون وهدوء شامل ، وتأثر عميق ، وقد سجلت هذه الكلمة المرتجلة ، وهنا نصها منقولاً من الشريط ، بعد ما تناولها صاحب الحديث بشيء من التنقيح والتهديب ، وحذف بعض ما تكرر من العبارات والمعاني التي اقتضاهما الجو الخطابي ، والحماس والاندفاع اللذان كانا يملكان الخطيب .



إن مثلي أيها الاخوة في اختيار هذا الموضوع وعرضه على  
 مسامعكم ، ولفت النظر إليه كمثل الحكاية التي حكها عبد الله بن  
 عمر رضي الله عنه في نفس هذه المدينة الطيبة ورواها البخاري وغيره  
 من ثقات المحدثين ، وعقد عليه الامام البخاري باباً ، فقال : « باب  
 طرح الامام المسألة على الناس ليختبر ما عندهم من العلم » .  
 يقول عبد الله بن عمر : قال رسول الله ﷺ مخاطباً للحاضرين من أصحابه  
 رضي الله عنهم : « إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل  
 المسلم ، حدثوني ماهي ؟ قال ( عبد الله بن عمر ) فوق الناس في  
 شجر البوادي . ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ، ثم قالوا :  
 حدثنا يا رسول الله ماهي ؟ قال : هي النخلة<sup>(١)</sup> . وكذلك عن  
 أبي بكر رضي الله عنه ، قال : خطبنا النبي ﷺ يوم النحر ،  
 فقال : أتدرون أي يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت  
 حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى .  
 قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى  
 ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى .  
 قال : أي بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا  
 أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس بالبلد الحرام ؟ قلنا : بلى ،  
 قال : فان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا  
 في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل  
 بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ،

١ - رواه البخاري في صحيحه .. « كتاب العلم »



فرب مبلغ أوعى من سامع ، ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب  
بعضكم رقاب بعض <sup>(١)</sup>»

إنني أيها الاخوة ! لا حاول أن أفلسف الحديث ، ولا أن  
أتعق فيه كثيراً ، ولا تنتظروا مني - وأنا أسألكم مخلصاً  
وأناشدكم بالله - خطابة رائعة ، فالموضوع أدق وأروع ، من  
أن يكون مظهرة للخطابة ، أو مناورة الكلام يملأ الاسماع ويخلع  
القلوب : ما هو الطريق إلى النصر ؟ هذا سؤال أريد أن أبحث  
فيه ، وألفت نظركم إلى بعض النواحي .

إن هنالك نظامين أيها الاخوة : نظاماً طبيعياً خلقه الله تبارك  
وتعالى ، واختاره لهذا الكون ، واتخذة سنة له ، وهو : أن  
الكثرة تغلب القلة ، وأن الغنى يغلب الفقر ، وأن الأسباب  
الكثيرة تغلب الأسباب القليلة ، وأن القوة تغلب الضعف ، وأن  
التنظيم والوحدة والانسجام ، والعزم ، وقوة الارادة والصرامة  
والثبات ، هذه صفات وأخلاق تغلب دائماً أضعافها . وكلنا قد  
جربنا هذا النظام في حياتنا الطبيعية اليومية .

إن الله سبحانه وتعالى قد أودع في الاشياء طبائعها ، وهي  
لا تفارقها على مر القرون والأعصار . فأودع في النار طبيعة  
الاحراق ، فالنار تحرق دائماً . وأودع في الماء طبيعته وأودع في  
الطين طبيعته ، هذه طبائع الأشياء التي لا تفارقها ، وهذا النظام

---

١ - رواه البخاري في صحيحه ..



الطبيعي قانون عادل محايد لا يراعي أحداً، ولا يفضل بشراً على بشر،  
ولا جماعة على جماعة حتى أن هذا القانون لا يميز بين الكافر والمؤمن  
وبين التقي والفاجر، وبين الصالح والفاقد، وبين المصلح والمفسد،  
فالنار تحرق كل ما امتدت إليه، لا تراعي مصلحة ولا تخاف  
عاقبة .

هذا هو الميزان العادل المحايد الذي يزن الأشياء وزناً دقيقاً  
ولا يدهن ولا يحابي ولا يفرق ولا يميز .

هذا هو القانون الذي جربه الانسان في رحلته الطويلة، وفي  
تجاربه المتصلة منذ خلق إلى يوم الناس هذا، وتاريخ الفتوح الانسانية  
والمغامرات البشرية، وتاريخ الانتصارات، والحكومات زاخر  
بالشواهد والأمثلة، إنه تاريخ متصل متكرر، طويل مستمر،  
لا تجدون فيه الاستثناء .

فحكومات تتغلب على حكومات، وقوى تصرع قوى و  
طاقات تهدم طاقات، وعدد يغلب عدداً، هذا كله خاضع للقانون  
الطبيعي الذي خلقه الله تعالى، ولا يحتاج هذا القانون إلى بحث  
عميق، أو استعراض دقيق، ولا إلى تعمق، ولا إلى فلسفة،  
والكتب السماوية والنبوءات لم تبحث في هذا الموضوع، فهو شيء  
طبيعي، معلوم مجرب، معقول بمتناول كل واحد .

هذا القانون هو قانون قاهر نافذ، قانون حر مطلق . قانون  
الأرض لا يقهره شيء، فاذا ترك الناس وهذا القانون تحكم فيهم  
تحكما مطلقاً، ولم يعق سيره شيء .



ولكن هنالك نظاماً آخر ، هو النظام الذي بحث عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبحثت عنه الكتب السماوية وشرحته وحثت عليه ، وهو أن الله سبحانه وتعالى قد خلق غايات أفضل وأسمى ، وأحق بالاهتمام والاحترام من هذه الغايات التافهة - إذا صح أن نسميها تافهة .

فالنار تحرق ، والماء يغرق ، والسم يقتل ، والترياق ينجع ، والطبيب يعالج ، والمرض يرهق ويضعف ، والدواء يشفي ويريح ، هذه كلها غايات محترمة غايات معقولة غايات يسير عليها هذا الكون ولكن هناك غايات أفضل من هذه الغايات ، وأحق بالاهتمام ، وهي غاية هذا الخلق ، وهداية البشرية ، ومعرفة الله تبارك وتعالى ، وإقامة العدل في العالم ، وإسعاد البشرية ، ومنح الحقوق لأصحابها ، والحياة السعيدة الهنيئة الفاضلة العادلة ، والمجتمع الصالح المثالي ، التقي الفاضل الذي تحترم فيه الانسانية ، ويخشى فيه الله تبارك وتعالى .

الذي تؤدي فيه الحقوق إلى أصحابها ، والأمانات إلى أهلها ، ويجد الناس فيه طريقاً ميسوراً للوصول إلى الله تبارك وتعالى ، ولتنمية قواهم ومواهبهم لمعرفة الله تبارك وتعالى ، والوصول إلى الكمال المطلوب ، والوصول إلى الغاية السامية النهائية التي خلق هذا الكون لاجلها ، هذه هي الغايات التي أنزل الله الكتب السماوية وبعث لها الرسل صلوات الله عليهم وسلامه جميعاً ، وهذه هي الغايات التي يجب أن تخضع لها تلك الغايات الطبيعية ، وأن تغير



ها هذه الغايات طريقها ، وتترك الطريق للغايات السامية التي أنزل الله لها كتبه المعجزة وأرسل لها الرسالات الصادقة المعصومة .

فاذا تصادمت الغايتان : الغاية الطبيعية ، والغاية الشرعية ، الخلقية العقلية الدينية ، الأساسية الرئيسية . غاية الخلق ، وغاية هذا الكون ، وغاية النوع البشري ، رجحت كفت الغاية الاخيرة ، لذلك لما ألقى ابراهيم في النار ، كانت هناك سنة الله التي نفذت في خلقه ، وسارت السير الطبيعي ، وانطلقت من غير تقييد ، فكانت النار تحرق منذ آلاف من السنين ، ما سجلت تجربة واحدة في التاريخ البشري - على أمانته ودقته في النقل - أن النار قد كفت وأضربت عن أداء واجبها احتراماً لملك أو عالم ، لأنها مأمورة ، ولكن لما اصطدمت الغاية الطبيعية : طبيعة النار ، مع طبيعة الخلق التي خلق الله لاجلها الكون ، بما فيه النار والماء ، وبما فيه الاجرام الفلكية والظواهر الكونية ، والاشياء الارضية ، وجميع المواد الغذائية ...

لما اصطدمت طبيعة النار ، مع طبيعة الهداية « الغاية التي خلق الله لاجلها الكون » أمرت النار بالكف عن الاحراق ، وسلبت من النار طبيعتها . . . طبيعتها العريقة في القدم ، وقيل لها - بحيث سمعت - ولم يسمع نمرود ، ولا أحد من الخلق : إياك إياك أن تحرقني إبراهيم ، وإنني أنا الذي أودعت فيك طبيعة الاحراق ، ولكن الغاية التي خلقت لاجلها إبراهيم ، وأكرمه بالرسالة ، وبعثته إلى هذا الخلق ، وأمرته بتبليغ هذه الرسالة ، هي الغاية التي يجب



إن تخضع لها طبيعتك ألف مرة ، فإياك أن تسمي ثياب إبراهيم  
فضلاً عن قلبه المؤمن السليم ، الذي برأه الله لامانة النبوة ،  
وهيأه لها فقال :

« ولقد آتينا إبراهيم رُشده من قبل وكنابه عالمين »<sup>(١)</sup>

فخضعت ودانت وانقهرت ، وتواضعت هذه الطبيعة النارية للطبيعة  
الدينية ، للطبيعة التي هي الغاية التي لولاها لكان هذا الكون عبثاً ،  
ولكان هذا الكون لفظاً بلا معنى ، فدانت وأطاعت النار أمر  
الله تبارك وتعالى ، وتوقفت عن إحراق إبراهيم ، وكانت عليه  
برداً وسلاماً ، :

« قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به

كيداً فجعلناهم الأخسرين »<sup>(٢)</sup>

بعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، والنسبة بعيدة بينهم وبين  
أمهم التي بعثوا فيها ، كما تعلمون جميعاً ، ولستم في حاجة لاستعراض قصة  
بعد قصة ، وهذا القرآن مملوء بهذه الشواهد والدلائل . فلما أرسل نوح  
قال له قومه : « قالوا أنؤمن بك وأتبعك الازذلون »<sup>(٣)</sup>

وقالوا له : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ،  
وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين »<sup>(٤)</sup> .

ولما بعث شعيب عليه الصلاة والسلام ، قال له قومه :

---

١ - سورة الانبياء : ٥١

٢ - سورة الأنبياء : ٩٦ - ٧٠

٣ - سورة الشعراء : ١١١

٤ - سورة هود : ٢٧



« قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ،  
ولو لا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير » (١) .

وهذا موسى ، سيدنا موسى من أولي العزم من الرسل ، ماذا  
يقول القرآن عنه ، كيف كانت النسبة بينه وبين الأمة التي بعث  
فيها ، وبين فرعون وجنوده وبين موسى وأصحابه ، قرأوا قوله  
تعالى : « ونادى فرعون في قومه ، قال : يا قوم أليس لي ملك  
مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ، أم أنا خير من  
هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ، فلولا ألقى عليه أسورة من  
ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ، فاستخف قومه فأطاعوه  
إنهم كانوا قوماً فاسقين » (٢)

وتعرفون أن الرسول ﷺ كان مستضعفاً في قومه ، وكان  
أتباعه مستضعفين مهتدين . يقول الله تبارك وتعالى :

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون  
أن يتخطفكم الناس » (٣) وقد أقصاه قومه من مكة إلى هذه  
المدينة المنورة ، التي نجتمع فيها الآن ، ولكن الله سبحانه وتعالى ،  
قد قهر القانون الطبيعي لهذه الغاية الفاضلة ، التي تتوقف عليها  
سعادة البشرية ، فلو سمح للأسباب أن تعمل عملها ، وأن تسير

١ - سورة هود : ٩١

٢ - سورة الزخرف : ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤

٣ - سورة الأنفال : ٢٦



سيرها الطبيعي من غير تقييد ، لقضي على دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولا بتلعتها هذه الأجواء القاسية والبيئات الضارية .

والكن الله سبحانه وتعالى كذلك أودع في الأخلاق والصفات طبائعها . وإنه أودع فيها قوى وطاقات لا تقل عن طاقات هذه الأشياء الطبيعية . فالصدق له طبيعة وله قانون ، والأمانة لها طبيعة ولها قانون ، وتقوى الله لها طبيعة وقانون ، وإن الصفات الفاضلة الكريمة ، وإن الاخلاق العالية النبيلة ، وإن خشية الله ، إن احترام الانسانية ، إن العدل والمساواة ، إن المواساة والبر ، إن الاحسان ، إن الانصاف من النفس ، إن الايثار والفاء ، إن إيثار الآخرة على الدنيا ، هذه كلها أخلاق وسجايا ، وعادات وأعمال ، أودع الله فيها من الطاقات والقوى الجبارة ، ومن الاسرار ، والروحانية ، ومن قوة التسخير ، وقوة الفوز والنصر ما لم يودع ، وهو القادر العليم ، في هذه الاشياء الطبيعية التي قد جربنا طاقاتها وتأثيرها وخواصها وطبائعها .

إن الله سبحانه وتعالى لما بعث الرسل وأكرمهم بالرسالة وأنزل معهم الكتاب والميزان ؛ ودعوا إلى الايمان بعقائد ، والتخلق بأخلاق ، والأتصاف بصفات ، والتجلي بمحاسن ، وعدم بالنصر على هذه العقائد ، وعلى هذه الاخلاق . وعدم بالنصر على هذه الدعوة التي يقومون بها ، وقال لهم : إن قوتكم ، وإن سر انتصاركم في هذه الدعوة ، وإن دعوتكم هي جندنا « إنهم لهم المنصورون ،



وإن جندنا لهم الغالبون»<sup>(١)</sup> «إنا لننصر ورسولنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى: «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي»<sup>(٣)</sup>. إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا فاقدى الرشيد - أعادهم الله عن ذلك - إنهم كانوا على أكبر جانب من العقل السليم ، على أكبر جانب من الذكاء ، ومن معرفة طبائع الأشياء ، ومن قوة المقارنة بين الأشياء ، ومن الحكم الصحيح الدقيق على الأشياء ، إنهم لم يكونوا مخدوعين ولا محبولين ، إنهم كانوا يعرفون أنهم إذا ضربوا الحديد بالحديد ، والعدد بالعدد ، والقوة بالقوة ، والجنود بالجنود ، إذا تقدموا إلى المعركة معتمدين على قوتهم المادية ، معتمدين على العدد والعدد ، والميرة والمدد ، معتمدين على سواعدهم وإن كانت قوية ، معتمدين على أصحابهم ، وإن كانوا إبطالا شجعاناً لاشك في ذلك ، فإنهم يخسرون المعركة ، إنهم كانوا يعرفون أن هناك شقة شاسعة بينهم وبين أعدائهم ، هذا مما لا يخفى على ذوي البصر فضلاً عن ذوي البصيرة ، وهم أهل بصر وبصيرة فاعتمدوا على نصر الله تبارك وتعالى .

ألا تذكرون قصة فرعون وموسى ؟ لما أمر موسى بأن يتسرى بقومه ، وأن يجتاز بهم إلى جزيرة سيناء ، سينة التي تشير في قلوبنا الأحزان ، وتدمع العيون ، سيناء التي فقدناها ، فقدناها

١ - سورة الصافات : ١٧٢ - ١٧٣

٢ - سورة المؤمن ٥١

٣ - سورة المجادلة ٢١



بفقدنا للايمان . لما أمر موسى بأن يعبر مع قومه البحر الاحمر ،  
 فلما وقف على شاطئ البحر حانت من بني إسرائيل التفاتة ،  
 والشك دائماً يساور نفوسهم ، والقلق يشغل قلوبهم ، فهم كثير  
 التلفت ، شديدو الاشفاق ، فلما رأوا إلى البحر وهو هائج مائج ،  
 ورأوا إلى العدو من خلفهم وهو ثائر متور ، قالوا يا موسى : أهذا  
 جئت بنا إلى هنا ؟ « قال أصحاب موسى إنا لمدركون »<sup>(١)</sup> وقد  
 صدقوا في ضوء التجربة والواقع ، فانهم إذا خاضوا البحر فراراً  
 من فرعون وجنوده ، فان مصيرهم معلوم محتوم ، وكل من اقتحم  
 البحر من غير سفينة يركبها ، أو طود يأوي إليه غرق وتلف ،  
 والبحر لا يميز بين ظالم ومظلوم ، وحاكم ومحكوم ، ولكن موسى  
 كان مأموراً بذلك ، وكان على بينة من أمره ، وكان واثقاً بوعد الله ،  
 وكان يعرف بنور النبوة : أن الغاية التي بعث لاجلها ، والرسالة  
 التي أكرم بها ، أكرم عند الله من غاية البحر التي خلق لها ،  
 والمهمة التي نيّطت به ، فقال في ثقة واعتماد : « قال كلا إن معي  
 ربي سيهدين »<sup>(٢)</sup> . هل يستطيع إنسان يعتمد على الطبيعة المحايدة ،  
 الطبيعية القاسية ، الطبيعة المطلقة ، التي لا تراعي الحق والباطل  
 ولا تميز بين الفضيلة والرذيلة ، ولا تميز بين الظالم والمظلوم ، هل  
 كان في استطاعة بشر أن يقول هذه الكلمة المؤمنة النبوية ،

١ - سورة الشعراء : ٦١

٢ - » » ٦٢



التي لا يزال لها رنين في الآذان ذو دوي في التاريخ ، ما قالها انسان  
قط قبل موسى ، وهكذا كان :

« فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق  
فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا  
موسى ومن معه اجمعين ثم أغرقنا الآخرين »<sup>(١)</sup>

عرف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم لا يجوز لهم بحكم العقل  
والتجربة ، وبحكم الحواس الظاهرة أن يعتمدوا على عددهم وعلى  
طاقاتهم ، وعلى عددهم وعلى تنظيمهم ، وعلى علو نسبهم ، وكانوا  
في ذؤابة قومهم ، ومن أفضل خلق الله ، ولكن كانوا يعرفون أن  
الأنساب لا تنفع ، وكانوا يعرفون أن النسبة بعيدة بعداً لا يتصور  
بينهم وبين منافسيهم وأعدائهم ، فاعتمدوا على الله وعلى الايمان ،  
اعتمدوا على الدعوة ، وعلى تلك الأخلاق الفاضلة التي تجرد عنها  
أعداؤهم ، تجرداً شائناً فاضحاً ، وتحلى بها أنصارهم وأصحابهم  
تحلياً رائعاً معجزاً ، وتقدموا إلى المعركة الفاضلة ، وهم متوكلون  
على الله للنصر ، يدعون الله للفتح المبين ، يدعون الله ليحق الحق  
ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

استحضروا في أذهانكم أيها الاخوان معركة بدر ، وما ساحة  
بدر منكم ببعيدة ، وما يوم بدر في تاريخكم بجهول ، أذكروا  
يوم خرج رسول الله ﷺ بهذه القلة القليلة من المهاجرين والأنصار

١ - ايضاً : ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦



ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فلما قاموا مصطفين أمام العدو الثائر  
الموتور ، القوي الشاكي السلاح ، الذي قد تملكه الغضب والحقد ،  
وهو يفوقهم مراراً عديدة في العدد والسلاح ، نظر رسول الله ﷺ  
إلى أصحابه ، ونظر إلى أعدائه ، وهو ، من هو ؟ في سلامة عقله  
وفي حصافة فكره ، وفي ألمعيته وفي فراسته ، وفي تجربته ! رأى  
أنه إذا ترك المسلمون لحظهم ، وإذا أطلق فيهم قانون الطبيعة ،  
وسمح لهذا القانون أن يعمل عمله في هذين الجيشين المتنافسين ، وفي  
هذين المعسكرين المتقابلين ، عرف ماهي النتيجة ، إنها لم تكن  
تحتاج إلى ذكاء باهر ، ولا تحتاج إلى ألمعية فائقة ، إن قريشاً  
جاءت بجدها وحديدها ، إنها جاءت وهي نائرة موتورة تعض البنان  
حسرة وندامة ، على تنصل هؤلاء إلى هذه الناحية البعيدة ، عرف  
رسول الله ﷺ النتيجة ، عرف أنه إذا أطلق فيه القانون الطبيعي ،  
وإذا استطاع هذا القانون أن يشق طريقه إلى الأمام ، فلا أمل  
في انتصار المسلمين ، لا أمل حتى في رجوعهم إلى  
المدينة سالمين .

ماذا فعل رسول الله ﷺ ؟ استحضروا في أذهانكم . قام  
يعبد ربه ويدعو ، عرف أن النصر من الله ، وعرف أن الذي  
خلق القانون يستطيع أن يوقف القانون ، والذي وهب يستطيع  
أن يسترد ، إنه لما خلق هذه الطاقات لم يقلت منه الزمام ، كما  
يعتقد كثير من الجهلاء ، بنى له أصحابه عريشاً ، وقام فيه يدعو  
ربه ويمرغ جبينه ، ويعفر وجهه في التراب ، ويعرف أن القضاء



ينزل من السماء ، لا ينبع من الارض ، الحكيم الله ، والقوة لله ،  
والنصر بيد الله . قام يدعو ربه ويبتهل ويتضرع ، حتى رق له  
قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأشفق عليه ، وقال : حسبك  
يا رسول الله .

إن بدرأ معركة فاصلة معلومة في التاريخ ، لا تزال نعيش في  
ظلمها ، ونأكل من رفدها، إننا كلنا ، وهذه الحكومات والشعوب  
الاسلامية عيال على بدر ، وبدر عيال على الدعوة التي دعا بها  
رسول الله ﷺ ، والكلمة الخالدة التي قالها . رأى أن النسبة بعيدة  
بين الجيشين في العدد والعدد ، كفتان متفاوتتان ، كفة قد  
ثقلت حتى التصقت بالأرض ، هذه كفة قريش ، وكفت خفت  
حتى ارتفعت إلى الفضاء ، وهذه كفة المسلمين . ماذا تفعلون  
أنتم إذا رأيتم كفتين متفاوتتين وأردتم أن ترججوا كفة على  
الأخرى ؟ تضعون سنجة ثقيلة في الكفة الطائشة ، فترجح هذه  
الكفة ، وتطيش الكفة الثانية .

وضع رسول الله ﷺ هذه السنجة في كفة المسلمين ، ما هي  
السنجة أيها الاخوان ؟ أتركم تسبحون في خيالكم ، أسمح لكم  
أن تفكروا في ذلك قليلا ، قال - وجبهته على الارض - الكلمة  
التي كانت سبباً في الحقيقة لبقاء هذه القلة القليلة من المسلمين ، ولبقاء  
هذه الامة ، قال « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » وصدق  
الله تعالى في ذلك ، وانتصرت هذه الجماعة كما تعلمون جميعاً ، وكما  
يعرف التاريخ ، وكما نرى آثاره الاسلامية حية باقية . إن هذه



الكلمة تعني أن مصير الدعوة مربوط بهذه الجماعة ، أن مصير  
سعادة البشرية ، والفلاح الانساني مرتبطان بهذه الجماعة ، وأنه  
لا بقاء للأخلاق الفاضلة ، لا بقاء للعدل ، لا بقاء لاحترام الانسانية  
بغيرهم ، فاذا شئت يارب أن تضيع هذه المعاني كلها ، وأن  
تتلف هذه الثروة كلها ، وأن تحبط جهود المصلحين ، والأنبياء  
المرسلين كلها ويبقى الانسان ولا تبقى الانسانية ، يبقى الجسم  
ولا تبقى الروح ، فافعل ما شئت ! .

فلما نصر الله المسلمين في معركة بدر ، وكان الفتح المبين ، عرف  
أن رسول الله ﷺ كان صادقاً في القول ، وأن قوله : إن مصير  
الدعوة مرتبط بنواصي هذه الجماعة القليلة ، كانت كلمة حق  
صدقها الملائكة ، وشهد بها التاريخ ، وصدقها الانسان في كل زمان  
ومكان ، وانتصر المسلمون رغم قلتهم وذلتهم ، وانهمز العدو رغم قوته  
وكثرته ، وصدق الله العظيم ، « ونقد نصركم الله ببدر وأنتم  
أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » (١) .

وأذكركم بحادثة ثانية ، ولست من أصحاب القصص  
والحكايات ، ولكنني أذكركم بهذه القصة ، لان فيها رسالة ، لأن  
فيها معنى جديداً ، يجب أن يكون ماثلاً أمام عيوننا ، وحاضراً  
في أذهاننا : لما تقدم سعيد بن أبي وقاص لفتح المدائن ، لعلكم  
قرأتم في التاريخ ، أن دجلة كانت تزيد ، وكانت في المد ،



وكان الفرس قد كسروا الجسور والقناطر ، وأبعدوا السفن والقوارب ، ووقف سعد على شاطئ دجلة وقفة قصيرة ، واستعرض الواقع الحاضر . استعرض الوضع الاستراتيجي ، كما يقول الكتاب العصريون ، وقال لأصحابه : بماذا تشيرون علي ؟ هل نرجع أو نقتحم دجلة ؟ .

كان المسلمون واثقين بأن الله سبحانه وتعالى قد خلقهم لغاية ، وأن الله قد ربط مصير الانسانية بهم ، وأن الله رؤوف بالانسانية ، وأن الله لم يخلق الانسان سدى ، ولم يخلق العالم عبثاً : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون »<sup>(١)</sup> كان المسلمون واثقين بهذا المعنى ، فعرفوا أنهم هؤلاء الذين يمثلون الإسلام وهؤلاء الذين يحملون القبس الاسلامي ، ومشعل الدعوة الاسلامية ، إن هذه الجماعة نواة الأمة الوحيدة التي أخرجت للناس ، وبدورها الطيبة ، أما دجلة فهو نهر يوجد مثله آلاف من الأنهار ، فكيف يسمح لدجلة بأن تغرق هذا الجيش الذي ليس له غرض مادي ؟ لم يخرج من جزيرة العرب ليبدل عرشاً بعرش ، وحكماً بحكم ، وملوكاً بملوك ، لينتزع السيادة من الفرس ويقدمها إلى العرب ، وليأخذ التاج من رأس كسرى ويضعه على رأس عمر رضي الله عنه ، هذا حرام على المسلمين . خرجوا كما قال قائلهم : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام .



فلما استعرض سعد «الوضع الاستراتيجي» عرف أنه لا حيلة له إلا الاعتماد على الله ، وأنه إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قضى بأن يبقى هذا الجيش يؤدي رسالته ، وينشر دينه ، وأنه يدعو الخلق إلى عبادة الله وحده ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فان الله سبحانه وتعالى سيقهر دجلة على أن تفتح لهم الطريق .

استشار سعد سلمان ، فقال : « إن الاسلام جديد » . تعجبني هذه الكلمة وتثير في قلبي ، وفي تفكيري معاني وأحاسيس عميقة جداً .

يتجلى في جوابه ذكاء المسلم ، لا أقول : الذكاء العام ، إن ذكاء المؤمن قد مثل خير تمثيل بهذه الكلمة ، التي نطق بها سلمان ، قال : « إن الاسلام جديد ، والله لقد ذلت لهم البحور ، كما ذلل لهم البر » وليخرجن أفواجاً كما دخلوا أفواجاً » فقول سلمان رضي الله عنه : « إن الاسلام جديد » معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يظهره على الدين كله ، إن الاسلام لم يؤد مهمته بعد ، أمامه مجال واسع ، أمامه أمم وشعوب بكر ، أمامه بلاد شاسعة ، أمامه دنيا عريضة ، إن هذا العالم كله ينتظر الدعوة التي يحملونها ، ينتظر تلك الاخلاق الفاضلة التي يتحلون بها ، ينتظر جيش الانقاذ ، فقال : إن عقلي المؤمن لا يصدق أنا سنغرق وأن دجلة ستلتهمنا التهاماً . إن الله سبحانه وتعالى يقهرها ويأمرها بأن تفتح لنا الطريق ، وهكذا كان .



إخواني ! هذان نظامان إلهيان ، نظام طبيعي : غلبة الكثرة على القلة ، غلبة القوة على الضعف ، غلبة الوحدة على التشتت والفوضى ، غلبة التنظيم على عدم التنظيم ، غلبة قوة الإرادة على ضعف الإرادة ، غلبة الاختراع والعلم على الجهل والكسل .

هذا نظام قديم خلقه الله تبارك وتعالى ، وحكمه في مجال واسع من هذه الدنيا العريضة ، ومن هذه الانسانية الواسعة ، ولكن هناك نظاماً آخر كما قلت لكم ، هو نظام الايمان والعقيدة والصفات والاخلاق ، والدعوة والرسالة ، وهذا هو السلاح الذي قاتل به المسلمون ، فانتصروا به ، هذا السلاح الذي خرجوا به من جزيرة العرب ، ثيابهم مرقعة ، ونعالهم مخصوفة ، وجفانهم بالية ، وخيلهم متقطعة الركاب ، الناس يستخفون بهم ويسخرون منهم ، ويقولون : هؤلاء إنما أخرجهم من جزيرتهم الجوع والعري ، أطعموهم واكسوهم يرجعوا إلى بلادهم .

هذان نظامان إلهيان ، ولكن إذا تجرد فرد أو جماعة من هذين النظامين ، وثاروا عليهما ، فلا خضوع للنظام الطبيعي ، ولا احترام له . لا جد ، لا عزم ، لا إرادة ، لا وحدة ، لا انسجام ، لا عزيمة ، وكذلك لا خضوع للنظام الشرعي والحلقي .

فلا عقيدة ولا خلق ، ولا صدق ولا إخلاص ، ولا تألم للبشرية ، ولا شفقة على الضعيف ، ولا عطف على اليتيم ، ولا عدل للجميع ، إنما هي شهوات ونزعات ، إنما هو الفخر بالقومية



و كبرياء ، إنها هو كلام فارغ وهدير كهدير الابل ، فهل يستحق  
هذا البلد أو الجيش النصر ؟

إن الله سبحانه وتعالى ، ليس بينه وبين بشر نسب ، إنه  
أنب بني إسرائيل على هذا الغرور وقال : « وقالت اليهود  
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ،  
بل أنتم بشر من خلق » .<sup>(١)</sup>

لا يفضل إنساناً على إنسان ، ولا فرداً على فرد ، ولا أمة على  
أمة بمجرد نسب وقومية ، وبمجرد عنصر وسلالة ، إنها يفضل إنساناً  
على إنسان بالتقوى ، « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .<sup>(٢)</sup>

إنها يفضل بلالا الحبشي على أبي جهل القرشي .

فلما برزنا إلى هذه المعركة ، ولا عندنا هذا النظام الطبيعي ،  
الذي يقضي باليقظة ، يقضي بالوعي ، يقضي بالوحدة ، يقضي  
بالانسجام ، يقضي بالإيثار ، يقضي بروح التضحية والفداء ،  
يقضي بالبطولة والشجاعة ، يقضي بالاستهانة بزخارف الدنيا ،  
يقضي بالتقشف والجلادة ، لا عندنا هذا القانون ، ولا عندنا ذلك  
النظام المقدس . النظام الذي ضمن الله له بالنصر ، فقال : « وإن  
جندنا لهم الغالبون »<sup>(٣)</sup> إذا قال : إن جندنا غالبون ، لكفى ،

١ - سورة المائدة : ١٨ .

٢ - سورة الحجرات : ١٣ .

٣ - سورة الصافات : ١٧٢ .



وإذا قال : إن جندنا لغالبون لكفى ، ولكنه قال : « إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون » (١) « إنا لننصر ورسولنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » (٢) .

فلما خرجنا إلى الميدان ، واعتمدنا على الكلام الفارغ ، اعتمدنا على الدعايات ، وجاهدنا في غير عدو ، وعكفنا على الملاهي والملاذات ، مثل الامم التي ضرب الله بها المثل في القرآن ، أي مصير كنا ننتظره أيها الأخوان ؟ بالله قولوا لي ، إذا أعطيتكم القلم ، وكان بيدكم القضاء ، أحلف بالله في هذه المدينة وأعوذ بالله من أن أكذب في أي بقعة من بقاع الأرض ، فكيف أكذب في جوار رسول الله ﷺ ، وفي رحاب مسجده . أنا أعطيتكم القلم ، وأعطيتكم القرطاس ، قولوا : إذا كان هذا وضعنا الذي عرفناه جميعاً ، عرفناه عن طريق الاذاعات ، وعرفناه عن طريق الصحف استعرضوا فقط الصحف والمجلات التي كانت تصدر أيام الحرب ، وقبل النكبة بقليل ، هل هذه الأخلاق ، وهل هذا النمط من الحياة يرضي الله ورسوله ؟ هل أغاني أم كلثوم ترضي الله ورسوله وتستنزل النصر ؟ وهل هذه السهرات الخليعة التي كان يجيهاها إخواننا في هذا البلد ، الذي وقعت على أكتافه أكبر مسؤولية للدفاع عن المقدسات الاسلامية ، الانسان الذي يخشى الله ، ويحكم بالعدل ، ماذا كان يقرر على هذه الكتيبة؟ .

١ - أيضاً : ١٧٢ - ١٧٣ .

٢ - سورة المؤمن : ٥١ .



كان واجباً أن يعيش المسلمون جميعاً في «حالة طواريء» ،  
في حالة استعداد دائم ، يجرمون عليهم حتى اللذات التي أباحها الله  
تبارك وتعالى وقد فعل ذلك الجيش الموفق المنتصر دائماً في  
التاريخ .

لما زحف بابر<sup>(١)</sup> مؤسس الدولة المغولية التي عاشت في الهند  
مدة ثلاثة قرون ونصف ، لما نزل في الميدان ومعه عشرون الفأمن  
المقاتلين ، وقد قاد عدوه «رانا سانجا» جيشاً كثيفاً فيه مائتا ألف  
مقاتل ، هل تعرفون ماذا فعل ؟ كان مغرماً بالخمر لا يكاد يبصر  
عنها ، معروف عنه في التاريخ ، أنه كان مدمناً للخمر ، وقف في  
ساحة القتال ، وتاب إلى الله ، وقال : يا رب إني أحرم على نفسي  
الخمر فلا أقربها ، وأقلع عن المحرمات والمنكرات<sup>(٢)</sup> ثم خاض  
الحرب وقاتل العدو ، فانتصر انتصاراً باهراً ، واستطاع أن

١ - هو ظهير الدين محمد بابر التيموري ٥٨٨٨ - ٥٩٣٩ .

٢ - يقول المؤرخ الهندي الشهير محمد قاسم البيحابوري المعروف «بفرشته»  
في تاريخه : إن «رانا سانجا» توجه إلى بابر يقود مائتي ألف مقاتل من أهل  
البلاد ، وساد الذعر في جيش بابر ، ومنعه قواد جيشه ، وأركان دولته عن  
الوقوع في الحرب معه ، وتكهن منجم البلاط محمد شريف ، بأن الهزيمة محتومة ،  
ولكن بابر صمم على القتال ، وقال : إذن ينبغي لنا أن تنهياً للشهادة في سبيل  
الله ، وحلف قادة الجيش ورجال البلاط بأنهم سيقاتلون إلى آخر رمق ،  
وارتفع هتاف الجهاد في كل جانب من جوانب الجيش ، وتاب الملك عن الخمر  
التي لم يكن يقارنها في وقت من الأوقات ، وتاب عن جميع المنكرات الشرعية  
وقاوم رانا سانجا بعشرين ألف مقاتل وانتصر عليه ، وكان ذلك في الثالث عشر  
من جمادى الآخرة سنة ٥٩٣٣ . «تاريخ فرشته»



يؤسس هذه الدولة العظيمة التي لا تزال آثارها المعمارية والاجتماعية  
زاهرة خالدة ، وقامت الحكومة الإسلامية التي بقيت إلى  
عهد قريب .

هكذا كانت الجيوش الجادة ، هكذا كان الجادون ، أما  
الهازلون ، فحكايبتهم معروفة ، وأنتم أعرف بها مني ، ودائماً ينهزم  
المعسكر الهازل أمام المعسكر الجاد ، هل هذه مسرحية من  
مسرحيات الف ليلة وليلة ؟ تقوم فرقة تمثيل فتمثل حكاية ، فهذا  
ملك وذاك وزير ، وهذا قائد وذاك جندي ، هزل ومرح ، إذا  
جاء الجيش الحقيقي الذي يحمل السلاح ، الذي قد قرر الموت ،  
وجازف بالحياة ، فر الجيش الهازل ، وتقوضت المسرحية ،  
المسرحيات لها مجال خاص ، لها مجال الهدوء والأمن ، مجال التسلية  
واللهو ، لماذا لا نستحق هذه النكبة ؟ والله إذا آمننا بأن الله من  
صفاته العدل ، وقد آمننا بذلك وآمنتم جميعاً ، فانا كنا نستحق  
هذا ! ، وإذا كان غير هذا ، فإن هذا يثير الدهشة والاستغراب في  
نفوسنا ، أينصر الله سبحانه وتعالى المسلمين الهازلين اللاعبين ،  
أعداء إخوانهم وإخوان أعدائهم ، قال الله تبارك وتعالى : « محمد  
رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (١)  
ونحن رحماء بالأعداء ، أشداء بيننا .

وهذا اليمن المنكوب الشقي ، ما ذنبه ؟ لماذا كان مظهراً



لهذه البطولة والغرام بالحرب ، ولماذا لم توجه هذه البطولة إلى  
العدو الحقيقي :

### أسد عليّ وفي الحروب نعامة ...

كيف إذا سأل الله تعالى عن هذه الأمة المنكوبة ، فقال :  
« بأي ذنب قتلت » ؟ يقول القرآن : « وإذا الموءودة سئلت بأي  
ذنب قتلت » (١) موؤدة واحدة قد وئدت في الجاهلية الأولى ، لا  
يتركها الله تبارك وتعالى من غير عدل ورحمة ، يسألها أمام الناس  
جميعاً ، ويقول « بأي ذنب قتلت » ؟ فهل لا تسأل أمة بأسرها  
عن ذنبها ، ألا يسأل اليمن الذي قال رسول الله ﷺ عنه :  
« أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً ، الأيمان يمان ، والفق  
يمان ، والحكمة يمانية » (٢) ما ذنب هذا الشعب الوادع؟ بماذا  
استحق هذا المصير ؟

إخواني ! لم يكن من حظي أن أولد في هذه البلاد المقدسة ،  
إنما ولدت بعيداً عنها ، هكذا أراد قضاء الله وحكمته ، ونشأت  
في بلاد لا تنطق باللغة العربية ، وهنا أستاذنا الجليل العلامة الدكتور  
تقي الدين الهلالي المراكشي ، يسألوه عن بلادنا فإنه مكث فيها  
مدة . . . بلاد بعيدة عن مهد الإسلام ، بلاد بعيدة عن لغة العرب  
ولكننا كلنا - والحمد لله - نعتز بعقيدتنا الإسلامية ، ونعتقد

١ - سورة التكوير : ١٣ .

٢ - حديث صحيح .



ونؤمن مخلصين بأنه لا سعادة لنا ، ولا نصر ولا قيام لنا ، إلا  
باتباع محمد ﷺ .

إن شاعرنا يقول : « إن من لم يرض بأن يكون تراب عتبة  
رسول الله ﷺ فليكن التراب على رأسه » ، ومن لم يرض أن يمشي  
في ركاب رسول الله ﷺ ، ويتمسك بأهدابه ، فإنه لا وسيلة له  
عند الله ، ولا أمل له في الانتصار ، ولا سبيل لكم أيها الاخوان  
إلا الخضوع لقيادة محمد ﷺ ، وإذا أبيتم ذلك - أعاذكم الله -  
وأبت ذلك كبرياء القومية العربية ، فإن الله سبحانه وتعالى قد  
حرم النصر ، وحرم العزة والكرامة ، وحرم الفتح ، إن الله  
ربط مصير العرب بخدم محمد ﷺ ، إن الله ربط سعادة العرب بمحمد  
ابن عبد الله ﷺ ، لم يربطها بقائد اشتراكي ، أو زعيم قومي .  
لا تقوم للعرب قائمة حتى يمشوا في ركاب محمد ﷺ ، إن الله سبحانه  
وتعالى يوم بعث محمداً ﷺ في مكة ، في اليوم الذي بعثه ، قرر  
في ذلك ، وفي تلك الساعة ، وفي تلك اللحظة ، أن مصير الانسانية  
مربوط بهذا الشخص الكريم ، وأنه لا سعادة بغير قيادته ، وبغير  
اتباعه . . .

إن كثيراً من الحيوانات تعتبر ، وتنتقع بالتجارب ، فما لنا لا  
نعتبر ؟ ماذا أعطانا هؤلاء الزعماء ، وهؤلاء المتشدقون ، ؟ أي  
مصير بدلوا ، أي شقوة كانت قد كتبت علينا محوها ، أي اعتبار  
كنا فقدناه ودوه الينا ؟ هذا التاريخ المشرق الزاهي قد فقد الشيء  
الكثير من روعته وتأثيره في النفوس ، كنا دائماً نفتخر بالتاريخ



الاسلامي العربي ، فصعب علينا الآن أن نتمثل به في المجالات العامة ، فقد أصبحت الفجوة عميقة واسعة بين الماضي والحاضر ، وبين الآباء والأبناء .

احتفظوا أيها الاخوان ! بالبقية الباقية من الغيرة الاسلامية ، والكرامة الانسانية ، قوموا اتحملوا الدعوة الاسلامية إلى الآفاق ، ستستقبلكم هذه الآفاق ، العالم يتطلع اليكم أيها العرب ، ليس من المعقول أن يحترمكم إنسان في الهند ، وفي باكستان ، وفي تركيا ، وفي أندونيسيا ، بمجرد القومية العربية ، ولكن من المعقول جداً ، أن يحترمكم لإسلامكم ولإيمانكم ، ولحرصكم على الهداية ، ولأخذكم بيد الضعيف ، ولمنعكم الظالم عن الظلم ، ولاتصافكم بالفضائل الخلقية ، وتمسككم بالدعوة الإسلامية ، إن العالم الاسلامي قد فتح ذراعيه ليعانقكم ويضمكم إلى صدره ، كما ضمكم إلى صدره قبل قرون ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خرجتم من جزيرتكم ، تحملون مشعل الدعوة الاسلامية ، وفتحت لكم الهند صدرها ، فتحت لكم أفغانستان وإيران ، وسمرقند وبنجاري ، فتح لكم للبربر هؤلاء الذين ما عرفوا الهزيمة في تاريخهم إنهم لم يخضعوا بجد السيف ، إنما خضعوا لمعجزة الاسلام ، خضعوا للاخلاص ، خضعوا للعطف والرحمة بالانسانية ، وللعادل الذي كنتم تحملونه معكم أينما حلتم ، خضعوا لفضل المساواة التي كنتم تعاملون بها الأمم والأفراد .

بالله قولوا لي : ما هي رسالة القومية العربية للانسانية ، وأي



خير للانسانية جمعاء ، في قومية من القوميات ، قومية بقومية ،  
وجنسية بجنسية ، ودم بدم ، ومدنية بمدنية ، إذا افتخرتم أنتم  
بالقومية العربية فهناك مئات من الشعوب تفتخر بقوميتها ، لا  
فضل لقومية على قومية ، ولا فضل لحضارة بائدة على حضارة بائدة  
إنما الفضل للرسالة الخالدة التي جاء بها محمد ﷺ ، فارفقوا بأنفسكم  
أيها العرب ، قبل أن ترفقوا بغيركم ، ارفقوا بنفوسكم ، ارفقوا  
بمستقبلكم ، ارفقوا بأجيالكم القادمة ، ارفقوا بتاريخكم ،  
ارفقوا بهذا الاحترام الذي لا يزال لكم عند الشعوب الاسلامية ،  
إن العالم ينتظركم مرة ثانية لتتقدوه من هذه الجاهلية المعاصرة ،  
من - اهلية القرن العشرين ، التي غزت العالم ، واكتسحت العرب  
والعجم ، وأن تعيشوا للاسلام ، وبالاسلام ، فيعود اليكم مركزكم  
القديم من القيادة والهداية ، ومكانكم القديم من القلوب والنفوس ،  
ويكون النصر حليفكم في كل معركة .

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (١) .

١ - سورة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) .



نداء إلى رجال الصحافة والإذاعة والكتاب والأدباء  
وقادة الفكر وزعماء الإصلاح في الأقطار العربية

إخواني في الدين ، وزملائي في الصحافة والكتابة !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ! وبعد فأعزيبكم - تعزية  
مفجوع لمفجوع - في كارثة العالم العربي ، التي لا يوجد لها نظير  
في تاريخنا الإسلامي العربي القريب ، وإن اللغة العربية على عبقريتها  
اللغوية وسعتها المعجزة ، وإن معاجمنا على غناها ، وضخامة ثروتها  
لتعجز عن مجاراتنا وإسعافنا في إبداء الشعور العميق ، الذي  
يملكنا في هذه المناسبة ، وفي أقل من هذه المأساة نكبة ، وأقصر  
منها رقعة قال أمير الشعراء شوقي :

سلام من صبا بردى أرق      ودمع لا يكفكف يا دمشق  
ومعذرة البراعة والقوافي      جلال الرزء عن وصف يدق

لقد كانت مأساة جنت على كرامة العرب في كل رقعة من  
الأرض ، وكرامة تاريخهم الذي كان المؤلفون والباحثون يقفون  
أمامه دهشين خاشعين وذلت بها رقاب المسلمين في كل بقعة  
يسكنونها ، وهبت عليهم في هذه الأيام التي انتشرت فيها أخبار



النكبة عاصفة هوجاء من الشهادة والهزء والسخرية والتندر المرير ،  
والتنكيت اللاذع من جيرانهم ومواطنيهم ، لا يقدر عنفها ولذعها  
وتخاذل المسلمين أمامها إلا من استهدف لذلك أو شاهده .

ولقد لبست الهند الاسلامية - ككل بلد يسكنه المسلمون  
في عدد كبير - ثوب الحداد ، وغرقت في بحر الاسى والحزن  
والحجل ، ولا يزال حديث فلسطين وحديث المسجد الأقصى ،  
وحديث كارثة العالم العربي بصفة عامة ، يشغل أكبر جزء من  
الصحف والمجلات الاسلامية ، ويبحث الكتاب الكبار عن أسباب  
هذه النكبة في عمق ودقة ، وصراحة وقوة ، يبحثون عنها في حياة  
إخوانهم العرب ، الذين يدينون بحبهم ، وينظرون إليهم كالجبل  
المثالي للاسلام ، وكأصحاب الفضل عليهم في التخلص من جاهليتهم  
ووثنيهم القديمة ، ويدوسون القرآن ويستفتونه في ذلك ، فيجدون  
فيه البيان الوافي والجواب الشافي وينتقدون القيادة الرئيسية ، التي  
تحملت مسؤولية الحرب ووقف إطلاق النار ، يتناولونها يبحث  
ديني وتحليل علمي عملا بقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو  
على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » . لا تمنع من ذلك مصلحة  
سياسية ولا دعاية قومية ، فان الامم تعيش على محاسبتها لنفسها  
وقادتها ، فان الامة خالدة والقيادات عارضة ، فلا يضحى بالامة  
في سبيل القيادة ، وإنما يضحى بالقيادة في سبيل الامة ، وليس  
أمثالكم في حاجة إلى الافاضة في هذا الموضوع .



ظللنا نتابع قراءة الصحف التي تصدر من الاقطار العربية  
 الشقيقة ، و كنا مؤمنين بأن النكبة الحديثة التي هزت الحياة ،  
 وهزت المشاعر في كل بلد اسلامي لا بد أن تهيم على كل ما  
 يكتب في الصحف والمجلات ، وتطبعها بطابعها ، و كنا نتوقع أن  
 الحديث عن أسباب النكبة ، ومواضع الضعف في مجتمعنا العربي :  
 وفي أخلاقنا وأوضاعنا سيغلب على كل حديث وموضوع ، بحيث  
 إذا اطلع أحد على عدد لأي صحيفة ، عرف أنها صحيفة أيام  
 النكبة ، وصحيفة أمة منكوبة ، وصحيفة أسرة مفجوعة ، في  
 أعز أعضائها وأفلاذ كبدها ، وأنها ستعرض لنقد المجتمع ، النقد  
 المخلص النزيه ، نقد الأستاذ الشفيق والمربي الرفيق ، وتعرض  
 لنقد القيادة التي أدت إلى هذه النتيجة المخزية التي لم ينته إليها  
 المسلمون بعد سقوط بغداد في أيدي التتار الوحوش ، ووقوع  
 العالم الاسلامي كله تحت أقدامهم وسنابك خيلهم ، النتيجة التي  
 وصمت وجوه المسلمين بوصمة عار لا يغسلها ولا يزيلها إلا فتح مبين  
 من فتوح صلاح الدين أو وقعة حاسمة مشرفة كوقعة حطين .  
 نصارحكم كأعضاء أسرة الأدب والكتابة ، و كزملاء مهنة  
 الصحافة ، بأننا لم نجد هذه الصحف والمجلات العربية الشقيقة تخضع  
 لآثار هذه النكبة ، وتتم عن أثرها العميق في النفوس والقلوب ،  
 وفي الادب والبيان كما كنا نتوقع ، ولم نر الباحثين من العلماء  
 والكتاب يبحثون عن جذور هذه النكبة ، الدقيقة العميقة في  
 أعماق المجتمع العربي ، الجذور التي مهدت السبيل لهذه النكبة ،  
 وسهلت سيرها وتقدمها بل دعته لشق طريقها إلى الأمام ، وتغزو



وتفتتاً من قصر من زجاج أو بيت من ورق ، وإنيها لا تحمل أقل  
صدمة في معترك الحياة .

وقد بلغ هذا الأسلوب من الحياة أوجه وقمته في الحواضر  
العربية ، وتزعمت القيادة المصرية بأقوى وسائل الزعامة التي لم  
تتهياً - ولا أقدر انها ستتهياً في القريب العاجل - لبلد آخر في  
الشرق العربي ، وقد كان انهيار هذه الحياة الانهيار الفظيع درساً  
قاسياً لكل بلد إسلامي عربي على وجه الارض ، وآخر فرصة  
لمراجعة سيره واتجاهه ، ومقاييس سعادته ونجاحه ، وقد علمتنا  
هذه التجربة المريرة أن كل بلد يتجه هذا الاتجاه معرض لهذا  
الانهيار عاجلاً أو آجلاً .

وقد تحقق وأسفر كالشمس في رابعة النهار أن شيوع المنكرات  
والبذخ والترهل في الحياة ، وظهور ما يغضب الله ورسوله من  
أعمال وأقوال ، وأخلاق ، وعادات ، وما يضعف نشاط الشعب  
وحماسة في سبيل العقيدة والكرامة ، والفوضى الفكرية التي تجرّها  
الصحافة المحترفة ، والأدباء الماجنون ، والمجلات الخليعة والادب  
المكشوف ، تفقد الأمة روح المقاومة للعدو ، والثبات على المبدأ  
وتحمل الشدائد ، وتحرم البلاد والأمة من نصر الله ، وتعرضها  
للخذلان ، رأينا مثاله الفظيع في المعركة الأخيرة .

وقد ألت الحياة في مصر وصحافتها وإذاعتها ونتاج مكاتبها  
العملاقة ظلّالها الكثيفة السوداء على المجتمعات العربية كلها ،  
وخضعت لتأثيرها في قليل أو كثير على قرب بعضها وبعد بعضها



وحب بعضها وكره بعضها ، وفعلت الحضارة الغربية ، وتسهيلات  
التوريد ونشاط التجارة الأجنبية ؛ وإقبال هذه الشعوب على ترفيه  
النفس بنهامة جامحة غربية فعلها الطبيعي في هذه البلاد ، فاصبحت  
الحياة في جميع الأقطار العربية متشابهة متشاككة ، وهذا ما يندر  
بخطر كبير ويشغل فكر المحبين المخلصين الذين يربطون مصيرهم  
ومصير الاسلام والمسلمين بهذه البلاد وبهذه الشعوب .

إن وجود هذه الحياة التي أشرنا إليها إشارة لطيفة لخطر جاثم  
على البلاد ، وسيف مصلت على رقابها ، ضعف العدو أو قوي ،  
وقرب أو بعد ، كما أن جود البركان المتهدم الأنفجار في بلد  
مندر بالخطر ، وأعظم هولا من كل خطر خارجي ، أو عدو  
متربص ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في أول إنذار تقدم به إلى  
قومه بعد ما أكرم بالنبوة ، يوم قام على جبل الصفا ونادى بأعلى  
صوته : « يا صباحاه » فهرع إليه أهل مكة ، وأكبر ظنهم أنه  
سيخبرهم بعدو من وراء الجبل ، يريد أن يهجم عليهم على غرة وهو  
الصادق الأمين ، فقال ، « يا بني فهر ، يا بني كعب ، أرايتم لو  
أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم  
أصدقتموني » ؟ قالوا : نعم ، قال : « فاني نذير لكم بين يدي  
عذاب شديد » ! أنذرهم بالخطر الحقيقي الدائم الذي يهددهم ،  
والذي هو طبيعة هذه الحياة التي كانوا يدينون بها ، والأصنام التي  
كانوا يعكفون عليها .

وقد أعاذكم الله ، وأعاذ المسلمين في بقاع الأرض عن



الوثنية التي كان قد غاص فيها العرب الأولون إلى الآذان ،  
 وحمى هذه الجزيرة من أن تعبد فيها الأوثان ، فليس لأحد على  
 وجه الارض أن يندركم بعاقبة أهل الشرك والوثنية ، أو يخاف  
 عليكم من مصير الكفار والمشركين ، ولكن الحياة - وأرجو  
 عدم المؤاخذة - المترفة المترهلة الباذخة المترفة التي نعيشها في  
 كثير من بلادنا الاسلامية والعربية ، وإيثار مصلحة النفس على  
 مصلحة الجماعة ، والنهامة للمادة ، والتهالك على الشهوات والحب  
 الغالي للحياة ، والكراهية الزائدة للموت ، والاستخفاف بمحارم  
 الله ، والوقوع في كثير من حدوده ، ثم الانجراف المتهور وراء  
 النعرات الجاهلية ، والشعارات القومية ، والافتتان بالاشتراكية  
 والشيوعية ، وقلة الشكر على ما نحن فيه من نعيم ويسر ، وحرية  
 وفرص ، والتدمير من كل موجود ، والتطلع لكل مفقود ، وقلة  
 الاعتبار بالدروس القاسية ، والحوادث الواقعة من حولنا ، والحرص  
 الشديد على تقليد مصر ، واتخاذها المثل الكامل في كل شيء ،  
 وعدم المحاسبة للمجرمين ، الذين جروا على العالم العربي هذا الشقاء  
 والبلاء ، كل ذلك أشد خطراً على هذه البلاد من عدو قاعد  
 بالمرصاد ، وهو الخطر الذي له مظاهر وألوان وأشكال ، لا تحسد  
 ولا تستقصى ، ومن مظاهره إسرائيل ، التي لم تكن لتحلم بهذا  
 الانتصار « الفريد » الذي لا يوجد له مثيل في تاريخها الطويل ،  
 الذي يمتد على ألفي سنة ، ولم تكن لتجرأ على غزو بلادنا المقدسة ؛  
 وتكسب المعركة في أربعة أيام - أو في أربع ساعات كما يقول



بعض الخبراء - اسمحوالي أن أقول : إن من أعظم أسباب النكبة التي نكبت بها مصر وامتدت هذه النكبة إلى جميع البلاد العربية ، الصحافة والاذاعة المصريتان ، فقد لعبتا دوراً رئيسياً في إفساد الذوق ، وشل النظام الفكري ، وتخدير الاعصاب ، وتعمية الأبصار عن إدراك الحقائق ، ونشر الجهون والعبث بالقيم والموازن ، وأصول الاخلاق والشرائع ، وإن كل شعب يعيش تحت وطأة هاتين السلطتين ، اللتين تستحق أن تسمى كل واحدة منها بصاحبة الجلالة ، ويهبها قلبه وعقله ، وسمعه وبصره ، لا بد أن يفقد الاتزان ويخل الميزان ، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ، ولا يحب طيباً ولا يعاف خبيثاً ، وإنه عرضة لكل خطر ، وهدف لكل إهانة ، وجدير بكل هزيمة :

« سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » .

إن هذه النكبة - لا سمح الله بها - لا تمنع ولا تسد في وجهها الابواب والطرق بالتقدم في المدنية ، والزيادة في أسباب الترفيه والتسلية ، ولا باقتباس المناهج الفكرية ، أو المذاهب الاقتصادية الحديثة ، فقد فعلت مصر وسورية كل ذلك ، فلم يغن عنها شيئاً ، بل كانت من أسباب النكبة .

إنه لا مجال بينها وبين الشعب إلا بالانابة إلى الله تعالى ظاهراً وباطناً ، والتمسك بحبله والالتجاء إلى عتبته ، وتحكيم الشريعة في الحياة ، وإخضاعها للاداب والاخلاق الاسلامية ، وترك المشاقة مع الله ورسوله والدخول في السلم كافة ، والاخذ بالجد واللباب



في المدنية والحياة الفردية والاجتماعية ، وتوطين النفس على تحمل  
المكاره ، وشظف العيش ، وخلال الرجولة والفتوة ، والعمل بما أمر  
به مربي الجيل الاسلامي الاول عمر بن الخطاب بقوله : **وتعددوا<sup>(١)</sup>** ،  
**واخشوشنوا<sup>(٢)</sup>** ، **واخشوشبوا<sup>(٣)</sup>** ، **واخلولقوا<sup>(٤)</sup>** . وحياة  
الاقتصاد والبساطة في جميع المجالات ، والكف عن الاسراف  
والمجون ، والتبذير الفاحش ، والمواساة لجميع الطبقات ، التي أمر  
بها الاسلام ، ومحاربة الفقر المدقع ، والغنى الفاحش في وقت  
واحد ، في ضوء تعاليم الاسلام ، وأسوة الرسول والصحابة  
والتابعين لهم باحسان من غير تقليد لمذهب اقتصادي مستورد ،  
ومن غير خضوع لفكرة أجنبية ، والبراءة من القيادة التي عبثت  
بعقول الامة ، وعاثت في البلاد والعباد ، وجرت عليها الشقاء الذي  
لا مثيل له في تاريخنا الطويل ، وقد قال الله تعالى : **« لا تركنوا  
إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من  
أولياء ثم لا تنصرون »** . وقال : **« واتبعوا أمر فرعون ، وما  
أمر فرعون برشيد »** .

والصحافة والاذاعة ، والادب والكتابة هي أقوى وسيلة

١ - تعدد الغلام : شب وغلظ ، وقيل معناه : تشبهوا بعيش معد بن  
عدنان ، وكان ذا غلظ وتقشف .

٢ - اخشوشن : تخشن في المطعم والملبس .

٣ - اخشوشب : صار صلباً كالخشب في احواله وصبره على الجهد .

٤ - اخلولقوا : تبدلوا في الملابس .



لغرس هذه المعاني في النفوس ، وتجييبها إلى العقول ، وتسريبها في الحياة ، وأخاف أن تكون هذه آخر فرصة - لا قدر الله - للانتباه من السبات ، وتدارك ما فات ، والاستعداد لما هو آت فأرجو أن تتجلى هذه المعاني في كل عدد من أعداد صحفنا ، وفي كل برنامج من برامج إذاعاتنا ، وفي معظم ما نكتب وما نقول ، وأن تجند لها الحكومات وسائلها ، ويجند لها الأدباء والشعراء والكتاب والصحفيون والمذيعون قواهم ومواهبهم وطاقاتهم ، ويسخروا لها القرائح والعبقرية الأدبية ، والمعاني الشعرية والبراعة الكتابية ، حتى يؤمن بها الشعب إيماناً راسخاً ويتخذها منهجاً في الحياة ، وبذلك لانعتصم عن نكبة جديدة فحسب ، بل نستطيع بحول الله أن ننقذ العالم العربي من هذا الوضع الفظيع ، ونستعيد فلسطين والمسجد الأقصى ، ونسترد ما خسرناه من كرامتنا واعتبارنا ، ومن كرامة التاريخ الإسلامي والعربي ، الذي فقد الشيء الكثير من قيمته وجلاله وروعته ، وثقة الناس به .

وهذه أمانة في أعناق جميع الكتاب والأدباء والصحفيين ، وحملة الأقلام ، والمحطباء على المنابر ، وزعماء الشعوب العربية ، وقادة الفكر والرأي

« اللهم هل بلغت ؟ ! » .



*[Faint, illegible handwritten text in Urdu script, likely bleed-through from the reverse side of the page.]*



## إزالة أسباب الخذلان أهم وأقدم من إزالة آثار العدو

إن الكتاب الذي آمننا به - نحن المسلمين - ليس كتاب عقائد وأحكام فقط ، بل هو كتاب تعرض لبيان سنن الله في خلقه ونواميسه في الكون ، وذكر أنماط مختلفة من البشر ، ونماذج متنوعة من الحياة ، ومناهج متباينة من الاخلاق ، وما أودع الله تعالى فيها من الخواص والطبائع التي لا تفارقها في ملايين من السنين ، وما قرن بها من النتائج والآثار التي لا تتخلف عنها في دور من أدوار التاريخ ، وما قرر عليها من الجزاء والعقوبات ، وما ربط بها من السعادة والشقاء ، والبؤس والرخاء ، والهزيمة والنصر ، والقوة والضعف ، وقد أعلن أنها سنن أزلية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، ولا تلغى لمصلحة أمة أو إنسان ،

---

١ - أعدت هذه المحاضرة لدورة رابطة العالم الاسلامي المنعقدة في منتصف رجب ١٣٨٨ هـ وقرئت بعنوان - الطريق الوحيد إلى النصر - وحظيت بموافقة عامة وتأييد كلي وعلق عليها ثمانية من أعلام العالم الاسلامي وأبرز أعضاء المجلس التأسيسي للرابطة .



« سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً »<sup>(١)</sup>  
ولم يقص القرآن علينا قصص الأمم الخالية والقرون الأولى في  
تفصيل وتكرار - والقرآن ليس كتاب تاريخ وأساطير - ولم  
يفض في الحديث عن اليهود ، ولم يتوسع فيه هذا التوسع ، إلا  
ليؤمن المسلمون - وهم الأمة الأخيرة - بنتائج الأعمال والاخلاق  
ومناهج الحياة ، ويعتبروا بمصير اليهود ، وما كتب عليهم من  
الشقاوة والسعادة ، والهزيمة والنصر ، في مختلف أدوار تاريخهم ،  
خاضعاً ذلك كله لمنهج الحياة الذي آثروه ، والاخلاق التي  
تخلقوا بها ، والحياة التي عاشوها .

فهم الأمة التي أكرمها الله بالنبوة والملك ، « واذكروا  
نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم  
ما لم يؤت أحداً من العالمين »<sup>(٢)</sup> . « يا بني اسرائيل اذكروا  
نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين »<sup>(٣)</sup> .

واليهود أمة أكرمها الله بعز وكرامة ونصر وغلبة ، وبركات  
ونعم ، عن طريق النبوة والدين الذي آمنوا به وتفانوا في سبيله ،  
وعن طريق الطاعة والامتثال لأوامر الله ، ثم طلبوا كل ذلك عن  
طريق الدنيا ، وعن طريق الملك ، وعن طريق المادة ، وعن

---

١ - سورة الاحزاب .

٢ - سورة المائدة .

٣ - سورة البقرة .



طريق المكر والدهاء، والمؤامرة والسرية وعقلية الهدم والتخريب،  
واستغنوا عن أسباب النصر الحقيقية، فقال: « ألم تر إلى الذين  
بدلوا نعمة الله كفوفاً وأحلوا قومهم دار البوار »<sup>(١)</sup>.

وأعلن كحقيقة خالدة عالمية: « إن الله لا يغير ما بقوم حتى  
يغيروا ما بأنفسهم »<sup>(٢)</sup>. وقال مخاطباً المسلمين: « ليس بأمانكم  
ولا أمانئ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من  
دون الله ولياً ولا نصيراً »<sup>(٣)</sup>.

هذا هو المنهج القرآني لنتائج أعمال الأمم وأخلاقها، الذي  
تناساه المسلمون في الدور الأخير في مشارق الأرض ومغاربها،  
وفي البلاد التي لها حكوماتها وحريتها، وفي البلاد التي  
ترزح تحت العبودية، على طريقة سواء، وأخذوا بسحر المدنية  
الغربية وفلسفاتها، واعتمدوا في تغيير الأوضاع وكسب المعركة،  
ومواجهة القضايا المعقدة الدقيقة، على الأساليب التقليدية السطحية  
التي لم يتمسك بها الغرب في حل قضاياها إلا مدة يسيرة من تاريخه  
القديم، ثم دفعها إلى الشرق ليتعلل بها، وهي الدعاية، وعقد  
أكبر عدد من الحفلات والمؤتمرات لإثارة الجماهير وإرعاب الخصوم،  
والدعاية في الصحف، واتخاذ عدد هائل تضيق عنه الدفاتر والصحف  
من القرارات والمشروعات.

واعتمد الشرق الإسلامي، وشعوبه وحكوماته أنه الطريق

١ - سورة إبراهيم .

٢ - سورة الرعد .

٣ - سورة النساء .



الوحيد لحل القضايا والوصول إلى الأهداف ، وعضت عليها بالنواجذ . وليس تاريخ الشرق الاسلامي في حل القضايا والكفاح السياسي إلا تاريخاً طويلاً متصلاً ، لهذه التجربة الفاشلة ، والتفكير السطحي الخاطيء ، الذي لم تحل به قضية في بقعة من بقاع الأرض في عهدنا ، والذي ليس إلا ضرباً من التسلية ، واستنفاد الجهود والقوى ، واستفزاز الشعور والعواطف في غير نتيجة ، ولم نعرف بلداً غربياً ، أو شعباً من الشعوب الغربية ، أو الافريقية اقتصر على هذه الاساليب ، واعتمد عليها ، ثم وصل إلى النتيجة ، أو نال الحرية ، أو الاستقلال ، أو دحر العدو الجاثم على صدره .

وحسبنا قضية فلسطين مثلاً ، فقد اعتمدنا في حلها من أول يوم على نفس الاساليب التقليدية التي تلقيناها من الغرب ، في غير وعي واجتهاد .

فلا أعرف قضية شرقية - فضلا عن إسلامية - ألقى في موضوعها من الخطب ، وكتب فيها من المقالات ، وعقد لها من الحفلات والمؤتمرات ، واتخذ لها من المشروعات والقرارات ، ونظم لها من المواكب والمظاهرات ، ما كان لهذه القضية التي ظلت الشغل الشاغل للعرب والمسلمين ، بعدما وضعت الحرب الكونية الاولى أوزارها ، وأعلن مشروع وطن اليهود ، فكانت مقدمة كل خطبة ووعظ ، وتكأة كل خطيب ومتحدث ، وسند كل زعيم وقائد ، في كسب الرأي العام ، والسيطرة على عقول الشباب والجماهير .



فقد ضربت هذه القضية الرقم القياسي في كثرة الحروف التي كتبت على الورق ، وعدد الكلمات التي انطلقت إلى الفضاء وهي قضية في منتهى العدل ، وأقرب القضايا في العالم المعاصر إلى الفهم والعقل ، ثم لم يغن ذلك كله عنا شيئاً .

واستطاعت إسرائيل - هذه النقطة المغمورة ببحار من البشر - أن توسع مملكاتها إلى حدود لم تكن تخطر بالبال قبل اليوم المشئوم هـ حزيران ، وتمتلك القدس الشريف ، والمسجد الأقصى المبارك الذي حرّمته منذ آلاف من السنين ، وكان حظها من هذه الأساليب التي تمسك بها العرب والمسلمون ، والثروة التي أنفقتها من الكلام ، أو من المؤتمرات والحفلات ، أو من البيانات والإعلانات قليلاً ، إلى حد يدعو إلى الدهشة والاستغراب .

وظلت معركة الكلام حامية طول هذه المدة ، ولم تقم محاولة جدية ، ولا برزت دعوة صريحة قوية إلى تغيير منهج الحياة في الشعوب والبلاد ، التي اكتوت بنار هذه الجناية الغربية الكبرى التي لا مثيل لها في التاريخ الحديث ، وتعرضت للخطر الصهيوني بطريق مباشر ، ولا دعوة إلى إزالة أسباب السخط والخذلان التي بينها القرآن في أسلوبه البليغ السافر ، وكسب أسباب النصر الحقيقية التي دعا إليها الكتاب والسنة ، وحفل بنتائجها وأمثلتها التاريخ الإسلامي ، ولم يشعر أحد بحاجة إلى استفتاء القرآن والعقل الإيماني الواعي المنصف ، الذي لا يكذب ولا يخدع ، عن أسباب هذه النكبة وحدث هذه المشكلة الطريفة التي حار



في تعليلها العقلاء ، وعجز عن حلها الزعماء ، وردها إلى أخطاء  
ارتكبتها الشعوب العربية ، منذ ثورتها على الدولة العثمانية الإسلامية ،  
وانضوائها إلى الحلفاء الآثمين المعتدين ، والقتال بجوارهم ، ولم  
يلتفت أحد إلى محاربة الادواء الخلقية التي تسبب الوهن ، وهو  
حب الدنيا وكرهية الموت ، والرقرة والنعومة ، والاخلاد  
إلى الراحة .

بل بالعكس من ذلك لم يزل يجد ، ويستفحل في هذه الشعوب  
والاقطار من الدعوات والهتافات ، والشعارات والفلسفات ما  
يبعد عنها عن الدين ، ويغضب الله ورسوله ، ويقطع صلة الامة عن  
النصر ، ويجول بينها وبينه ، من دعوات جاهلية وأسماء مخترعة ، ما  
أنزل الله بها من سلطان ، والاعتماد على أشخاص وقادة لا يزنون  
عند الله جناح بعوضة .

واكتفت بعض الدول التي تزعمت هذه القضية ، ووعدت  
بالنصر والفتح المبين ، بالغوغائية والسلبية ، والدعاية الفارغة ،  
والجهاد في غير عدو ، واستنفاد أكبر قدر من الاصوات ، وعدد  
من الحروف والكلمات التي خلقها الله ، وزخرت بها اللغة العربية  
العبقرية ، واستخدام أقوى حناجر وأحد أقلام ، لكسب المعركة ،  
حتى جاءت الساعه التي لا ينفع فيها إلا الجد ، والحقيقة ، والتهاك  
على الموت ، والمغامرة ، والبطولة ، والتقشف ، والجلادة ، فانهمز  
المعسكر الهازل أمام المعسكر الجاد ، وانحسر فيضان الكلام  
أمام جيش لا يعرف إلا المغامرة والاقترام ، وكان ما كان ، بما



نكس رؤوس المسلمين ، وأذل رقاب العرب في مشارق الأرض  
ومغاربها .

وكان من المؤكد المضمون ، والبديهي المعقول ، وبما يوافق  
طبيعة هذه الأمة ، ويتفق مع تاريخها الطويل أن العرب سيعتبرون  
بهذا الدرس القاسي ، الذي لا درس بعده ، وأنه سيتغير تيار  
الحياة في هذه البلاد ، وأنها ستستأنف حياة جديدة تختلف عن  
الأولى كل الاختلاف . فيحل الايمان مكان الارتياب والاضطراب ،  
والاسلام الحقيقي مكان النفاق والرياء ، والتقشف والحشونة مكان  
الرقوة والنعومة ، والاحذ بالجد مكان التمسك بالقشور والمظاهر ،  
وأنهم سيبدلون أسباب الترفيه والتسلية بأسباب الفداء والتضحية ،  
وأن الشعوب العربية ستعيش في ظل الاستعداد والحذر ، وفي  
« حالة طوارئ » ، وأنها ستقوم في كل بلد عربي - فضلا عن مهد  
الاسلام ومآزر الايمان - محاولات جدية لمحاربة أسباب الفشل  
والضعف ، والاتجاه إلى التمتع الرخيص والتهام اللذة الفارغة ،  
وما يحدث في الأمة الرقوة والجبن وينسيها العار الذي لا يغسله  
إلا الثأر ، والجروح التي لا تضمدها إلا الفتوح .

إننا أمام الامر الواقع المرير ، وسيف الخطر وصلت على  
رقابنا ، وقد تمثلت لنا كلمة الفاتح الاسلامي العربي طارق بن  
زياد من جديد : (أيها الناس أين المفر ، البحر من ورائكم ،  
والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر .) وقد مضى  
زمن الكلام ، وزمن القرارات والبيانات ، والحفلات والمؤتمرات ،



وأصبحت لا قيمة لها ولا تأثير . لقد أصبحت الطرق الدبلوماسية ،  
والاساليب السياسية عقيمة ، لا يحتفل بها أحد . إن أكبر سياسة  
ودهاء ، ورأس الحكمة ، هو الاخلاص ، فلا تزال أكبر قوة  
تخضع للاخلاص وتحترمه ، كما كان ذلك قبل مئات أو آلاف من  
السنين ، يوم لم تتعقد المدنية هذا التعقد ، ولم تتوسع العلوم  
هذا التوسع .

لقد أصبح الغرب ، الذي لا يزال أستاذاً في السياسة والدبلوماسية ،  
قليل الاحتفال بهذه الاساليب القديمة التقليدية ، التي لا تزال  
الحكومات الشرقية تعتمد عليها كل الاعتماد ، وتؤمل فيها كل  
خير ، وصار ينظر إليها كمسرحيات قديمة كانت تمثل في الدور البدائي ،  
ثم تقدم العالم تقدماً كبيراً .

إن طارقاً قال لجيشه : ( وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ) ،  
ولسان الحقيقة يقول لنا : لا وزر لكم أيها المسلمون والعرب إلا  
الاخلاص .

إننا لانزال نعيش مع عقليتنا القديمة في فجر القرن العشرين ،  
ولا نزال نعلم على الاساليب العتيقة ، التي آمن الغرب وآمن العالم  
كله بتفاهتها وقلة جدواها ، فلنخلص لله ولندخل في السلم كافة ،  
ولنطبق ما نقول ، ولنعدع النفاق ، ولنؤمن بأن هذه الحياة ، الحياة  
التي نحياها ، ولا تزال تزيد في أسباب فسادها وتعفننها ، كشارب  
ماء البحر ، الذي كلما شرب منه ازداد عطشاً ، هي مصدر  
الخطر والممانعة من النصر .



في وادي مكة قام محمد بن عبد الله ﷺ قبل ثلاثة عشر قرناً  
على جبل الصفا ، ونادى بأعلى صوته : يا صباحاه ! وهرع الناس إلى  
سفح الجبل ، يستخبرون الخبر ، وكانت الايام أيام غارات قبلية ،  
وأيام عدو يكمن في الجبال ، ويغير على غرة من الرجال ، فقال  
وهم عيون شاخصة وآذان صاغية : ( أرأيتم لو اخبرتكم أن خيلاً  
بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني ؟ ) فقالوا :  
نعم ، فقال مشيراً إلى منهج حياتهم الذي آثروه ، وأسباب (النكبة)  
التي جمعوها ، وأسباب النصر التي ضيعوها ، ( فاني نذير لكم بين  
يدي عذاب شديد ) .

إن هذا المنهج الذي آثرناه ، وإن حياة التمتع والانتهازية ،  
والابيقورية ، التي لا تعرف أدباً ولا خلقاً ، ولا تحترم ديناً ولا  
شريعة ، ولا تراعي مصلحة وعاقبة ، هي أشد خطراً من كل  
عدو خارجي ، وما مثلها إلا كمثل سفينة مثقوبة ثقباً واسعاً يدخل  
منه الماء بقوة وسرعة ، وركابها « الخياليون » متغاضون عن هذا  
الثقب ، متغافلون عن سده ، متخوفون من فريق من القراصنة  
الموهومين ، وهذه الحياة هي التي مهدت الطريق في القرن الخامس  
للغارة الصليبية ، وفي القرن السابع للزحف التتاري ، وفي القرن  
الثالث عشر للغزو الاوربي ، وفي آخر القرن الرابع عشر الذي  
نعيش فيه للفتح الصهيوني .

إنها طبيعة هذه الحياة التي لا تفارقها ، ولو قامت ألف محاولة ،  
وأنعدت ألف مخالفة ، وبرزت ألف قيادة ، لم تنفع مع هذه الحياة



الهازلة اللاهية المستخفة بأحكام الله ، المعتدية على حدود الله ،  
المتوكئة على معسكر غربي أو شرقي ، وحليف اشتراكي أو رأسمالي ،  
إنه لا وزر لنا إلا الأيمان والاسلام ، وإلا الصدق والاخلاص .

إن وجود النفاق في قادة العالم الاسلامي وزعمائه ، والتناقض  
في أقوالهم ، ووجود الجاهلية اللاهية ، والاندفاع المتهور إلى الترفيه  
والتسلية ، والتعامي عن الحقائق والاطار المحدقة ، ووجود الاعمال  
والاخلاق المغضبة لله ولرسوله ، والممانعة عن النصر ، وقلة الغيرة على  
الدين والعرض والشرف ، وحرمانات الله ومقدماته ، والمداهنة لمن  
حارب الله ورسوله ، وقاتل أوليائه وأنصاره ، وطاردهم واضطهد  
الدين في بلده ومركره ، وتسبب في ذل الاسلام والمسلمين ،  
والنكبة العظيمة التي لا يوجد لها نظير في قرون كثيرة من تاريخ  
الاسلام - وأصر على ذلك وافتخر به - والتودد إليهم ، والانتصار  
لهم ، بل الغضب والحمية لهم ، وإشاعة أسباب الفساد والتحلل  
والميوعة في الشعوب الاسلامية وبلاد المسلمين ، والتلاعب في أيدي  
الاجانب ، واعداء الاسلام في الخارج ، وتحقيق أغراضهم ومخططاتهم  
بشعور وبغير شعور ، وبقصد وبغير قصد ، كل ذلك مصدر كل  
سؤم وكل خيبة وكل ذل وكل نكبة .

إذن فلا ينفع شيء حتى نقوم بما نستطيع من إصلاحات  
جذرية ، وإزالة أسباب الفساد والميوعة ، التي لا يستطيع معها  
أي شعب أن يقاوم العدو ، ويتحمل الشدائد ، ويصبر على المكاره ،  
ويفضل الموت على الحياة ، والشرف على الذل والهوان ، ولا تزال



إسرائيل الدولة البغيضة عبرة لنا في صوغ الحياة صياغة جديدة وفي  
الزهد في الملاهي ، وأسباب الترفيه والتسلية ، ولا تزال عبرة في  
حياة التخشن ، والتقشف ، والاقتصاد في الملابس ، والمطاعم ،  
وفضول المدينة وحواشيها<sup>(١)</sup> وحسبنا الشعب الصيني الذي تقشف  
في الحياة تقشفاً لا مزيد عليه ، وهو يعيش في حالة طوارئ ، وهو  
أغنى شعب في النفوس والمواهب منذ عقود من السنين .

إن الكفتين اللتين تملكتهما القيادتان المتنافستان في العالم المعاصر  
كفتان متباينتان كل التباين في الحفة والرجحان ، فالكفة التي  
تملكها وتزعّمها القيادة اللادينية كفة قد أثقلها تحقيق المطالب المادية  
وإشباع الغريزة الانسانية والاعراض التي لا قبل للشباب بها ،  
والانسحاق مع الرغبات والانجراف مع الشهوات ، والاساليب  
الحديثة التي حدقها وبرع فيها أدباء هذه البلاد ( والتي لا تزال  
بلادنا العزيزة المقدسة متطفلة عليها تلميذة متواضعة فيها ) ، فلو  
كان الحكم بالمقارنة وتكافؤ القوى والقلة والكثرة ، والضعف  
والقوة لشالت الكفة الاسلامية إلى آخر حد ، ورجحت الكفة التي

---

١ - أخبرني بعض الثقات بأنه لا يسمح لأحد في إسرائيل أن يشتري أكثر  
من بذلتين في السنة ، أما الحرير فمحرم على الرجال مسموح للنساء فقط ،  
وقد اندهش اليهود برؤية البذخ والرياش الفاخر في المدن العربية التي استولوا  
عليها ، وقالوا : لو أن أحداً من كبرائنا فعل هذا لنفيناه ، وليس عندهم  
تلفزيون حتى الآن إلا ساعتين للتثقيف ، والتدريب العسكري إجباري  
بين ١٨ و٥٥ سنة .



حملتها القيادة التحورية إلى آخر نقطة .

هنالك يعرف كل من رزق البصر - فضلا عن البصيرة والفهم  
السليم ، فضلا عن الفراسة والألمعية - أنه لا أمل لأصحاب الكفة  
الثانية ، كفة أنصار الفكرة الاسلامية ، وأولياء الأمور في البلاد  
التي تقوم على أساس الاسلام ؛ إلا في الرجوع إلى الاسلام بالمعنى  
الصحيح الذي لا يشوبه شيء من النفاق ، والتدرع بالاخلاص  
الذي لا يخالطه شيء من الرياء ، وبالانابة إلى الله إنابة صادقة  
لا يمازجها شيء من التردد والشك ، وصوغ المجتمع والحياة صياغة  
دينية لا حظ فيها للجاهلية ، والحياة التي قضى الله لها بالخذلان ،  
وبين سخطه عليها في القرآن ، وقص لها القصص ، وضرب لها الامثال  
من حياة الأمم المعذبة في القرون الخالية ، والعكوف على الشهوات ،  
وتحقيق كل ماتطلبه النفس الحيوانية الأمارة بالسوء ، ويزينه  
الشيطان ، من غير تقييد بدين وشريعة وآداب وأخلاق ، والجشع  
والنهم للذة والمنفعة ، والأثرة الفاحشة ، والاكتمار والاحتكار ،  
والترف المجنون على حساب الآخرين ، وبخس حقوق الفقراء ،  
والتعامي عما يعيشون فيه من فقر مدقع ، وبؤس مبك ، وإنزالهم  
إلى درجة أخط ، من درجة الحيوانات والدواجن ، والقرآن بماء  
بهذه الأمثال والقصص .

وقد قال الله تعالى : ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها  
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً <sup>(١)</sup> ) (وكم أهلكنا

١ - سورة الأمراء .



من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم  
إلا قليلا ، وكنا نحن الوارثين) <sup>(١)</sup> وقد كان في معركة بدر الحاسمة  
التي غيرت مجرى التاريخ وصاغت العالم صياغة جديدة ، درس لنا  
معشر المسلمين ، فقد كانت كل القرائن والشواهد تدل دلالة واضحة  
على انتصار المعسكر المكي الزاحف الذي كان يقوده أبو جهل  
وأصحابه ، وتغلبه على المعسكر الاسلامي الذي كان يقوده محمد  
ﷺ بحكم جميع المقاييس التي آمن بها البشر، والتجارب العسكرية  
التي سجلت في التاريخ مما يتصل بالعدد والعدد ، والميرة والمدد ،  
وكان لكل ذي بصر أن يتكهن بالنتيجة ، ويعلن أن المعسكر  
الزاحف من مكة سيقطع شأفة اللاجئين إلى المدينة وأنصارهم ،  
ويحمد الجذوة الأولى من الدعوة الاسلامية إلى آخر الابد ، وقد  
عرف ذلك الرسول ، الذي كان حظه من معرفة طبائع الاشياء  
وحقائق الامور أكثر من كل أحد ، هنالك وضع في كفته وكفة  
أصحابه « السنجة » <sup>(٢)</sup> التي رجحتها رجحاناً لو وزن بها العالم كله  
بما فيه من جيوش وعساكر وحكومات ، ودول ومدنيات  
ومجتمعات لرجعت .

فربط مصيره ومصير أصحابه بالايان والعقيدة والدعوة  
والرسالة فقال : ( اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد ) وصدقته

١ - سورة القصص .

٢ - سنجة الميزان : ما يوزن به كالرطل .



الله تعالى في ذلك ، فلم يكن ذلك فكرة مرتجلة أو حيلة مبتدعة  
أو هتافاً تلتجىء إليه الحكومات أو القيادات في أيام عصيبة من  
الحروب أو الازمات في حياة الاحزاب والقيادة ، ثم تتناساه  
وتتخلى عنه ، بل كان تصويراً للواقع ، وإعلاناً لميثاق ، وكانت  
النتيجة التي ينعم في ظلها العالم الاسلامي من خلافة أبي بكر إلى  
يوم الناس هذا ، ويأكل المسلمون جميعاً من رफدها وعلى مائدتها  
الممدودة من أسوار القسطنطينية إلى جزر المحيط الهندي ، ومن  
خليج البصرة إلى جبال أطلس .

إن مثل بلادنا الاسلامية - وخصوصاً البلاد التي اکتوت بنار  
النكبة الاخيرة وعارها - كمثل بيت وقع فيه حريق عظيم ، فانه  
لا يحتاج إلا إلى المطافيء القوية السريعة ، وهذه المطافيء هي  
محاربة أسباب الفساد ، وتنفيذ الاصلاح العام الشامل ، أو  
الانطلاق أو بدء السير باخلاص وعزم في هذا الاتجاه .

ولكن لا شيء يعدل على أن هناك وعياً صحيحاً وإقراراً بالخطأ  
والتقصير ، وقصداً لاصلاح وتغيير ، بل كل شيء يدل أنه ليس  
هناك مع الاسف إلا الاصرار والتهادي ، والدفاع عن الموقف  
الذي وقفناه ، والإستمرار فيه ، بل تدل بعض الدلائل والقرائن  
على أننا بدأنا نمد أيدي الصداقة والتودد من جديد إلى القادة الذين  
جروا علينا هذا الشقاء ، وورطوا العالم الاسلامي والعربي في هذه  
الكوارث التي لا آخر لها ، فضلاً عن أولئك الذين يجارون عنهم  
بكل حماسة وإخلاص ، ويتفانون في حبهم ، والدفاع عنهم ، وتبرير



مواقفهم ، وتبرئتهم عن كل خطأ وذلة ، وذلك يثير غضب  
وسخطه ، ويجرم نصره ، وقد قال الله تعالى :

( ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من  
دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ) وقال : ( يا أيها الذين آمنوا  
لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ) .

إن أول خطوة إيجابية مباركة : هو الندامة ، والاعتراف  
بالخطأ ، والاقرار بالاخفاق الذي منينا به ؛ وبأننا أخطأنا الطريق .

والخطوة الثانية : إزالة أسباب الخذلان ، التي تحرم من النصر  
الالهي ، والعزة والكرامة في الدنيا ، والانتصار في المعركة ،  
تتبعها تتبعاً أميناً دقيقاً ، ونحكم على أنفسنا بالعدل ، ونتوب  
إلى الله توبة نصوحاً ، ونؤمن إيماناً صادقاً بأنه لا ملجأ من الله  
إلا إليه .

والخطوة الثالثة : أن نحارب الفساد في كل مجال من مجالات  
الحياة ، ونزيل النفاق من كل شعبة من شعبها ومن كل طبقة من  
طبقات المجتمع ، ونترك محاربة الله ورسوله ، وإعلان الحرب على  
الاسلام - من الدعوات والفلسفات إلى الأعمال والأخلاق -  
وندخل في السلم كافة ، ونعتمد على العمل والكفاح ، وقوة الايمان  
والغيرة الاسلامية ، والأمور الجدية ، وحياة التقوى والتقشف ،  
والزهد والبساطة ، أكثر مما اعتمدنا على القشور والمظاهر ،  
والأساليب السياسية التقليدية ، والدعايات الفارغة السطحية ،



ونبدي سخطنا وبراءتنا من القيادات الراجعة التي ورطتنا في هذا  
المأزق الذي لا متقدم فيه ولا متأخر ، هو مقتضى الايمان والعقل  
السليم ، وشرط للخلاص من الأزمة ، وبدء الانطلاق من جديد ،  
ودليل على صحة الحواس ، وسلامة العقل ، وحسن القصد ،  
ووجود الغيرة في النفس .

ألا إننا - ونحن أصحاب الرسالة الأخيرة الخالدة ، وخير أمة  
أخرجت للناس ، وورثة تعاليم النبوة وأخلاقها - أحسن حالا ،  
وأشرف مكانة من قوم يونس الذين أدر بهم الله برحمته في آخر  
لحظة عندما صدقت قلوبهم ، وصحت توبتهم ، وظهر  
تضرعهم ، فقال :

« فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا  
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين . »  
وليس لنا إلا أن نقوي صلتنا بهذا الدين الذي حملنا الله أمانته ،  
وبهذا الكتاب الذي أورثناه ، ونحارب الفساد الطاريء الدخيل ،  
وننفض عنا الغبار الذي طرأ علينا من الخارج ، ونبرز أمام الأمم  
كالذهب الخالص الوهاج الذي التقط من الماء والطين ؛ فلا يشك  
أحد في قيمته وأصالته ، وصفاء جوهره وكرم معدنه ، وحاجة  
البشرية إليه :

هجان الحي كالذهب المصفى صبيحة ديمة يجنيه جان



## الفتح للعرب المسلمين

لا شك أن اليهودية العالمية قد نجحت نجاحاً فوق الحساب في تحقيق مراميها وأهدافها الكثيرة، التي ظلت آلاف السنين تحلم بها، وفي تطبيق مخططاتها الكثيرة، التي كانت تعتبر ضرباً من غرائب الهوس، وطرائف الجنون في سهولة ويسر، لم يكن يتخيلها أحد، لا العرب ولا اليهود أنفسهم.

فقامت دولة «إسرائيل» في قلب المنطقة العربية الإسلامية المقدسة، وبقيت جاثمة على صدر العرب والمسلمين، واستطاعت بنفوذ اليهود العالمي أن لا تحتفظ بكيانها فحسب، بل لم يزد لها الزمان إلا قوة واستحكاماً، ثم استطاعت أن تنتصر على أعظم معسكر عربي وأضخمه عدة وعتاداً، وأن تحطم قوته الجوية.

وأكثر خطراً من ذلك أنها أضعفت قوة إرادة الشعب وروح مقاومته في بضع ساعات في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ م، واستولت على القدس، وعلى الضفة الغربية، وعلى شبه جزيرة سيناء، وأصبحت قناة السويس، وكثير من مدن مصر الساحلية



مهدة معرضة للخطر الاسرائيلي ، وتوغلت في الاراضي السورية ،  
واستولت على عدد من المواطن الاستراتيجية المهمة ، وامتطاعت  
أن تضرب عدة مطارات عربية في جراءة ووقاحة ، وهي الآن  
تحلم بالاستيلاء على هذه المنطقة العربية كلها ، وتهدد الأماكن  
المقدسة في قلب الجزيرة ، ويتحدث بعض زعمائها باسترداد ما فقدوه  
آبائهم من حصون ومستعمرات يهودية في الجزيرة العربية ، وجلوا  
عنها في المد الإسلامي الأول ، بل . . . يمني . . . اليهود أنفسهم بأن  
يصبحوا يوماً من الأيام السطوة العالمية التي تملي أوامرها ، وتفرض  
إرادتها على الرؤساء والوزراء ، والقادة والزعماء في العالم كله ،  
وتحقق الحلم البعيد الذي رآه الربيون في التلمود ، وحكام  
صهيون في بروتوكولاتهم .

فهل يدوم هذا الوضع ؟ وهل تحقق الصهيونية ما بقي من  
أحلامها ومخططاتها ؟ وهل يترك العرب والمسلمون تحت رحمة هؤلاء  
الطامحين ؟ وهل يفسح لهم المجال ، ويرخي لهم الحبل ، حتى  
يستولوا على العالم كله ؟ ويحققوا أغراضهم وما يدينون به من فلسفات ،  
وأفكار ونظريات ؟ وهل يمنحون القيادة للنوع البشري ، وتتاح لهم  
الفرصة في توجيهه كما أتاحت لرسالات وفلسفات ، أو قوى  
وطاقات ، أو مدنات وحضارات في الزمن السابق ؟ .

إننا لا نستطيع أن نجيب عن ذلك جواباً حاسماً ، حتى نقف  
وقفة قصيرة أمام هذا الكون الفسيح البديع ، وما عرفنا عن  
خالقه ومبدعه ، وإسمائه وصفاته وأفعاله وإرادته ، وسننه



وقوانينه ، وأمام التاريخ البشري وما وصلت إلينا من تجاربه وحوادثه .

ولا نستطيع أن نحكم في ذلك بشيء حتى نحكم على السلالة البشرية ، ومدى صلاحيتها ، والطبيعة البشرية ونصيب الخير والشرف فيها ، ونحكم على مستقبل الجيل البشري ، ومصير هذا العالم .

فإذا قررنا أن خالق هذا الكون الحكيم العليم ، لم يخلق هذا الكون وهذا الكوكب الذي نسكنه إلا للفساد والدمار ، والفوضى والانحلال ، والظلم والقسوة ، والوحشية والهمجية ، والمؤامرات والدسائس ، ولم يهتم به هذا الاهتمام - الذي يتجلى في جميع مجالاته - من إبداع وإتقان ، وحسن وجمال ، وترتيب وتنسيق ، ويتجلى في إرسال الرسل وإنزال الكتب حيناً بعد حين ، وإلهام المصلحين ونصر الصالحين الصادقين ، وإدالة الخير من الشر ، وتغليب الصلاح على الفساد جيلاً بعد جيل - إلا ليسيطر عليه عنصر ينتمي إلى بعض الأنبياء في أقدم العصور ، وتجري في عروقه قطرات من دمهم ، لا ترى بأدق مكبرة بيولوجية ، ولا تحسب بأكبر مهارة رياضية ، ولتهيمن عليه وعلى جميع طاقاته ، وذخائره وثرواته ، سلالة بشرية واحدة ، هي « شعب الله المختار » والأسرة الإلهية المقدسة (١) .

---

١ - وهو ما يحكيه القرآن من زعمهم وقولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ( سورة المائدة ١٨ ) وأسفار العهد العتيق والتهود مملوءة بهذه المزاعم والصفات والنعوت التي لا يهتمها هذا المقال الصغير .



وإذا قررنا أن هذه السلالة البشرية الكريمة ، هي الخلية البشرية الوحيدة ، التي خصها الله بجميع الطاقات ، وبجميع المواهب ، وقد ارتكزت فيها كل صلاحية ، وكل عبقرية ، وكل إبداع ، أما الخلايا البشرية الأخرى ، التي يتكون منها النسل الإنساني الذي يملأ العالم ، فهي حثالة كحثة الشعير ، وبراية كبراية الأقلام ، مجردة عن كل جدارة وصلاحية ، وقدرة على الإبداع والانتاج ، وعن جميع المواهب والمنح .

فالعنصر اليهودي له وحده الحق في السيادة والحكم على النوع البشري ، أما سائر الناس ، فيجب أن يساقوا كما تساق قطعان البهائم الحقيرة ، وكل من عدا<sup>(١)</sup> هؤلاء الأبناء المدللين ، والسعداء الموهوبين ، فقطع شطرنج يلعب بها الدهاة اليهود الأكرمون في قدرة ومهارة ، ويضربون بعضها ببعض ، ويغلبون بعضها على بعض ، ويهزمون بعضها أمام بعض ، وهي لا تملك من أمرها شيئاً .

وإذا قررنا أن الطبيعة البشرية ، هي الطبيعة الشريرة ، التي تفضل التدمير على البناء ، والافساد على الإصلاح ، وهي متشائمة دائماً ، حقود ناقمة على العالم أجمع ، ساخطة على الماضي والحاضر ،

١ - يسميهم اليهود الأميين ، يعبر عنها اليهود بكلمة جويم Goyem ، وبكلمة Gentles ويراد بها غير اليهود ، ومعناها عندهم وثنيون ، وكفرة ، راجع معجم اكسفورد ( الانكليزي ) .



ثائرة موتورة ، تحمل الأحقاد القديمة والجديدة ، وتنظر إلى كل قضية وحادثة بالمنظار الأسود ، ولا ترى إلى الجانب الضعيف في ما صنع الصانعون ، وبنى البناؤون ، وخلف المخلفون ، متدمرة تضيق ذراعاً بكل شيء ، تحتقر غيرها ، وهي في الحقيقة مصابة « بمركب النقص » لا تعرف للسلالة البشرية كرامة ، ولا تعرف غاية أسمى من المادة ، وتحقيق الرغبات الحسية ، تقسو عند الانتصار ، وتجن عند الهزيمة ، وتستخدم جميع الوسائل للوصول إلى الغاية ، ولا تتورع عن أخس الأعمال ، وأفحش الظلم ، وأحط الأخلاق ، وأوقح نفاق .

وإذا قررنا أن العامل البناء الوحيد ، القوي المؤثر ، في بناء المدنيات ، وصنع التاريخ ، وإسعاد البشرية ، وسياسة الشعوب والأمم هو الدهاء الحبيث ، والمهارة الاجرامية ، واللباقة الهادمة المدمرة ، والافساد بين الناس ، والقضاء على الضمائر ، وفك نظام الأسرة وإشاعة الرذيلة والانحلال ، وإحداث الأزمات بعد الأزمات ، وإن الوسيلة الأقوى التي سيطرت على مصائر الأمم ، وأعظم حوادث العالم ، وغيرت مجرى التاريخ ، هي المؤامرات الخفية ، وأن أكبر قوة يعتمد عليها ، هي الغدر ، ونكران الجيـل ، واللؤم والحسة ، وإن الخلق المحبب إلى الله ، الضامن للغلبة والانتصار ، والعائد على البشرية بالسعادة والهناء ، هو



## الكبرياء والأثرة (١)

وإذا قررنا أن مصير الإنسانية حالك مظلم ، لا أمل في  
سعادة ولا في أمن وسلام ، ولا في إخاء ووئام ، وأنه لا يزال ينتقل  
من حرب إلى حرب ، ومن نكبة إلى نكبة ، ومن شؤم إلى شؤم ،  
ومن ثورة إلى ثورة ، حتى ينتهي إلى جهنم التي سعرتها الأغراض  
المتطاحنة ، والأحقاد المتواصلة .

وإذا قررنا أنه ليس هنالك قضية رسالة وهداية ، وقضية عقائد  
ومباديء ، وقضية ضمائر وقلوب ، وقضية أخلاق وفضائل ،  
وقضية دين مختار ، وشريعة مصطفاة ، ومنهج مفضل للحياة ،  
إنما هي قضية سلالة ونسب ، ودم وعرق ، وقضية ثارات وتراث ،  
وأحقاد وضغائن ، واسترداد لمجد ضائع ، وأرض مسلوبة أو محتلة ،  
وإشباع لرغبة الطموح أو غريزة الاستيلاء وطبيعة الجشع .

إذا قررنا ذلك كله ، فلا شك أن اليهود هم المرشحون ،  
المهيئون للسيادة والغلبة ، وأن هذا الوضع سيظل ويدوم ، وأنه  
لا يعوق عن توسعهم في الحدود ، والامتلاك والاحتلال ، وعن  
تحقيق مخططاتهم شيء ، فإنها هي الصورة الحقيقية التي رأيناها فيما  
عندنا من أسفار العهد القديم ، وفي صحف التلمود وفي بروتوكولات

---

١ - ولذلك يصفهم القرآن « المفضوب عليهم » وجاء هذا الوصف في  
سورة العنكبوت التي تتكرر وتجب قراءتها في كل صلاة ، ولا يتذوق هذه الكلمة  
البليغة ولا يعرف مدى انطباقها على اليهود إلا من عرف سيرتهم والدور  
الذي لعبوه في تاريخ الإنسانية .



حكما صهيون ، وفي ما وصل إلينا من خطب زعمائهم ، ومحاضر  
جلساتهم السرية ، وفي ما تحقق من أعمالهم وإجراءاتهم ، منذ  
استولوا على القدس وعلى المدن الإسلامية العربية .

وهي صورة الحقد والاحتقار ، والنقمة والسخط على البشرية ،  
وتقديس العنصر اليهودي ، والدم الإسرائيلي إلى حد التآليه ،  
ومجريد السلالة البشرية الباقية في جميع أدوار التاريخ ، وفي أنحاء  
العالم عن كل جدارة وصلاحية ، والتصميم على الاستيلاء على العالم  
كله ، لمصلحة اليهود وحدهم ، والبغضاء المتأصلة في النفوس ،  
والضراوة بالشر والفساد ، لطبيعة أصيلة ، والعنف والعناد ،  
كأخلاق قومية ، وعادات مورثة ، وهي الصورة التي تقترن  
بتاريخها اقتران المزاج بالإنسان ، وتوافقهم مرافقة الظل . فالمرء مرة  
قوام تاريخهم ، وعماد حياتهم ، والقطب الذي يدور حوله نشاطهم  
وذكائهم ، وهم الرأس المفكر ، والعقل المدبر ، والإصبع المحركة في  
كل ثورة ، وفي كل مؤامرة ، وفي كل مذهب هدام ، وفي كل  
فلسفة مدمرة ، وفي كل قلق يسود ، وفي كل أزمة تحدث  
- اقتصادية كانت أو سياسية ، واجتماعية كانت أو خلقية - ولا  
أبلغ ولا أدل من كلمة نابغتهم « الدكتور اوسكار ليفي » في وصف  
شعبه : « نحن اليهود ، لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ، ومحركي  
الفتن فيه وجلاديه » .

وليست لليهود - ولم تكن في دور من أدوار حياتهم - أي  
رسالة عالمية ، وطبيعة الرسالة العالمية لا تتفق مع تقديس العنصر



والدم ، والغلو في تعظيم سلالة واحدة ، واعتقاد كل نزاهة وجدارة  
وصلاحية للتقدم الروحي ، والسمو النفسي ، والقرب من الله تعالى ،  
في نسل واحد وأمةٍ واحدة ، وعدم الاقتناع بعقيدة المساواة  
البشرية ، ووحدة الاصل والجنس في بني آدم ، وتكافئهم  
في فرص الرقي والتقدم ، والطهارة والنزاهة وبلوغ أعلى درجات  
الإيمان والإحسان ، والرحمة والرضوان ، فطبيعة تقديس العنصر  
والدم ، وحصر النجاسة والنبوغ ، والعبقرية والعظمة ، والاختصاص  
بمخالف هذا الكون ، تعارض كل المعارضة ، العطف على النسل  
الإنساني ، والحماسة في نقل أفضل ما عندها من رسالة وسعادة إلى  
باقي البشر وسائر بني آدم ، وإشراكهم فيما عندها من علم ثابت ، وعمل  
صالح ، وأخلاق كريمة .

بل إن هذه الطبيعة تجنح بطبيعة الحال إلى تضيق دائرة الهداية  
والدعوة ، وتحديدتها في عنصر واحد ، وفي سلالة واحدة ، لذلك  
كان من الطبيعي أن الديانة اليهودية لم تكن في زمن من الأزمان  
دعوة عامة للخلق ، ولم يكلف اليهود - في ضوء من نصوص  
كتبهم المقدسة - بتبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً<sup>(١)</sup> ، بل وردت

---

١ - تقول السيدة الفاضلة المهتدية مريم جميلة ( . Marcus Margaret ) اليهودية سابقاً في كتابها « الإسلام إزاء أهل الكتاب ماضياً وحاضراً » باللغة الإنجليزية : « ليس أن اليهود لا يبلغون دينهم إلى غيرهم عملياً ، بل إنهم لا يرحبون بالدخول في دياتهم ولا يعرف إلا مثاليين في تاريخهم الطويل حين دخل غير اليهود في اليهودية في عدد كبير ، كان ذلك مرة في اليمن ، في زمن سبق البعثة المحمدية ببضعة قرون ، ومرة ثانية



نصوص تمنع عن ذلك ، وتحتصر نشاطهم الدعوي في نطاقهم  
العنصري المحدود ، وكان من الطبيعي والمعقول جداً أن يميزوا  
دائماً بين بني إسرائيل وبين الشعوب والقبائل الأخرى ، وأن  
يضعوا للخير والشر ، والبر والاثم مقاييس مختلفة تختلف  
باختلاف السلالات والشعوب ، وأن لا يتخرجوا من أكبر إجرام  
أو عدوان مع شعب آخر ، وذلك ما أخبر به القرآن عنهم فقال :  
« ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل (١) » ومن  
الطبيعي والمعقول جداً أن تتعرض جميع الشعوب والسلالات التي  
يحكمها اليهود لكل اضطهاد وعسف ونجس نصيب وتطفيف كيل ،  
لأنهم لا ينظرون إليها كأسرة إنسانية زميلة ، أو سلالة بشرية  
شريفة ، وإنما هي قطيع من الغنم ، أو مجموعة من عجاوات أو  
جمادات ، خلقها الخالق لتكون آلة صماء في يد أبنائه  
المدللين . (٢)

إذن فالفطرة السليمة التي أودعها الله في غالب البشر ، وما

حين اعتنق عدد من غير اليهود الديانة اليهودية في مملكة خزار النائية الأصل  
التي عاشت مدة قصيرة في روسيا «

Islam versus ahl al Kitab past and present : 22-23

١ - سورة آل عمران ٧٥

٢ - وهي نفس النظرة التي ينظر بها البراهمة والفاخون من الآريين في  
الهند إلى سكان هذه البلاد القدماء ، وعليه تأسس نظام الطبقات في الديانة  
البرهمنية وفي المجتمع الهندي ولا يزال هو النظام المتبع رغم جهود المصلحين  
الناشرين منهم .



تحدثت الأديان والشرائع ، والكتب المنزلية عن عدل الله ورحمته  
وحكمته وإرادته من صنع هذا الكون - الفسيح البديع المنظم  
المنسق - وخلقه للجيل البشري وأستخلافه وتكوينه ، وما أودع  
في الأشياء من طبائع ، وما وضع لنهضة الأمم وانحطاطها ، وقيام  
الحكومات وسقوطها ، وأزدهار الديانات وذبولها من سنن وقوانين ،  
وما تحقق عند جميع الأديان ، والفطر السليمة ، والعقول المستقيمة ،  
من أنه ليس رب سلالة ونسل ، ورب أسرة وبيت ، ورب  
بيت وإقليم ، بل هو إله الجميع ورب العالمين ، ورب المشارق  
والمغرب .

وما ثبت في التاريخ الإنساني من أن الشعوب والأمم إنما تحيي  
بالرسالات التي تحتضنها والغايات التي تدعو إليها ، والفضائل التي  
تكافح في سبيلها ، وما تحمل من إفادة ونافعة ، وغذاء للجميع ،  
وما نبه عليها القرآن الحكيم بقوله : « فأما الزبد فيذهب جفاء  
وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله  
الأمثال » (١) .

إن كل ذلك يحتم أن اليهود الذين يتحدون هذه الحقائق ، وهذه  
الطبائع ، وهذه السنن والقوانين ، والغايات الكريمة التي خلق الله  
لها هذا الكون ، وأوجد لها هذا الجيل البشري وما يجبه من الخير  
والصلاح ، ومن العمران والبقاء ، لا يتعون بفترة طويلة من السيادة

١ - سورة الرعد : ١٧ .



والسيطرة والغلبة والقوة ، ولا يمكنون من تحقيق جميع آمالهم  
وأحلامهم ، ومشاريعهم ومخططاتهم الهادمة المدمرة ، الانانية  
السلبية ، ولو أيدتهم الف حكمة وكانت من ورائهم القوى  
الكبرى كلها في العالم ، ولو توفرت عندهم كل الوسائل الجهنمية  
التي اكتشفها المكتشفون في هذا العصر ، والتي برع فيها اليهود  
براعة ممتازة (١) ، وصينتصر أهل الحق وحملة الرسالة العالمية الخالدة،  
التي تعطف على الانسانية كلها ، وتساوي بين الشعوب والامم ،  
وتنتصر للحق أينما كان ، ونحارب الظلم أينما وجد ، يعيشون  
للانسانية وبالانسانية ، ولا يريدون علواً في الارض ولا فساداً .  
وقد كان للدهاء والمكر والخديعة والذكاء الذي لا يقوم على  
احترام الانسانية ، ولا يقف عند الحدود العقلية والحلقية ، والذي

١ - أخبرت الأحاديث النبوية التي كادت تبلغ حد التواتر بأن اليهود  
بماغون في زمن من الأزمان الذروة في القوة والسيطرة في فلسطين، وينهض  
فيهم الدجال الأكبر الذي يتزعم هذه القوة ويتصرف في الأشياء ، وأنهم  
سيجتمعون في مكان واحد ، ثم يتسلط عليهم المسلمون ويضعون فيهم السيف  
ويناديهم كل شيء حتى ينم عنهم الحجر ، وبقي علماء السنة أكثر من ثلاثة عشر  
قرناً يتدارسون هذه الأحاديث في كتّاب الفتن والملاحم وأبواب أشراف  
الساعة في كتب الحديث ، وهي من أعمد الأشياء عن الخيال في عالم الأسباب  
والواقع ، فاليهود - طوال هذه المدة - أذلاء مشتتون في الآفاق ، حتى  
بدأت هذه النبوة تتحقق في منتصف هذا القرن المسيحي الحاضر ، فنشأت  
فكرة وطن اليهود ، وقامت إسرائيل ، وحدث ما حدث ، وستحقق أواخر  
هذه النبوة كما تحققت أوائلها ، وهي من المعجزات النبوية التي تجلت بعضها  
وتبينت كالصبح ، وستجلى الباقي ، والله الأمر من قبل ومن بعد .



يتجه دائماً إلى الانانية والسلبية انتصارات بهوت العقول والالباب،  
وغشت على العيون والابصار وشككت في التاريخ البشري،  
وكادت تفقد الثقة بقوة الحق وحسن العاقبة للصادقين المتقين،  
وكانت لهذه القوة التخريبية الماكرة جولات وصولات في التاريخ  
حتى تحركت الجبال الراسيات، واضطربت رجال الفلسفات  
وعلماء الديانات، وقد صور القرآن بإعجاز هذه الساعات الدقيقة  
العصية، وما ينتاب العقول والقلوب في ذلك الوقت من حيرة  
واضطراب، وشك وارتباب، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن:  
« حتى إذا استميس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا  
فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين »<sup>(١)</sup> وقوله:  
« إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار  
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي  
المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً »<sup>(٢)</sup>.

وقد عالج القرآن هذه النفس الانسانية التي تخضع دائماً للمغلبة  
والقوة مها كانت عارضة مؤقتة، ومها كانت سخيقة هازلة، فقال:  
« لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم  
جهنم وبئس المهاد »<sup>(٣)</sup> وقال: « ما يجادل في آيات الله إلا الذين  
كفروا فلا يغروك تقلبهم في البلاد »<sup>(٤)</sup>.

١ - سورة يوسف : ١١٠ .

٢ - سورة الأحزاب : ١١ .

٣ - سورة آل عمران : ١٩٦ .

٤ - سورة المؤمن : ٤ .



وعلاج كذلك النفسية الضعيفة التي تستسلم دائماً لدهاء دقيق ،  
ومكر محكم ، أو مؤامرة ناجحة ، فذكر مراراً وتكراراً ، أن  
مصيره إلى الانهيار والافتضاح ، والحياة والاختفاق ، وأنه كنسج  
العنكبوت : « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا  
يعلمون »<sup>(١)</sup> .

وقرر أن الحير لا ينتج من الشر ، وما كان أساسه ضعيفاً  
متداعياً للسقوط ، ولم يكن له أصل ثابت ولا جذور عميقة - في  
الأرض الكريمة أو الفطرة السليمة - يكون البناء الذي يقوم عليه  
مستعداً للانهيار في كل لحظة ، فقال : « أفمن أسس بنيانه على  
شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم  
الظالمين »<sup>(٢)</sup> وقال : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة  
اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار »<sup>(٣)</sup> وقال على لسان  
نبي الله موسى مخاطباً لجماعة السحرة : قال : « ما جئتم به السحر  
إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين »<sup>(٤)</sup> .

وقال يتحدث عن المكر والدهاء في مختلف الأزمنة والأمكنة  
كقانون عام خالد : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، فهل  
ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة

---

١ - سورة العنكبوت : ٤١ .

٢ - سورة البراءة : ١٠٩ .

٣ - سورة ابراهيم : ٣٦ .

٤ - سورة يونس : ٨١ .



الله تحويلاً»<sup>(١)</sup> وقال : «والذين يَكفرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور»<sup>(٢)</sup> .

وأعلن حقيقة عالمية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، والشعوب والأوطان ، ومظاهر الفوز والخسران ، والسعادة والحُرمان ، فقال غير مبال بما يعتقدُه البشر من نجاح الحُكام والملوك ، والطامحين المغامرين في عصرهم : « فاصبر ان العاقبة للمتقين »<sup>(٣)</sup> وقال : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً »<sup>(٤)</sup> .

بالعكس من ذلك العرب رغم جميع العُلل ومواضع الضعف ، والطواريء التي تحدثنا عنها في محاضراتنا السابقة في صراحة ليست فوقها صراحة ، ما زالوا ولا يزالون أصحاب دعوة إنسانية عامة ورسالة عالمية آفاقية ، والدين الإسلامي الذي أكرمهم الله بالسبق فيه والدعوة إليه ، حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب ، والعناصر والأجناس ، والأسر والبيوتات ، والبلاد والأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار بني لاوي من اليهود أو البراهمة من الهند ، لا يتميز فيها شعب عن شعب ، ولا نسل عن نسل ، ليس الاعتماد فيها على العرق والدم ، بل الاعتماد فيها على الحرص

١ - سورة فاطر : ٤٣ .

٢ - سورة فاطر : ١٠ .

٣ - سورة هود : ٤٩ .

٤ - سورة الاسراء : ٨١ .



والشوق ، وحسن التلقي ، وزيادة التقدير ، والتفوق في الجهاد  
والاجتهاد ، وقد روى الامام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي ﷺ  
أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس (١) » .

وقد دان العرب في جميع عصورهم لكل من برز في العلوم  
الدينية وتفوق فيها ، وأقروا لهم بالامامة والزعامة فيها ، وخلعوا  
عليهم من النعوت والالقب ما لم يخلعوها على كثير ممن برع في  
هذه العلوم من العرب ، فلقبوا الامام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم  
بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري ، صاحب الجامع الصحيح  
( م ٣٥٦ ) بأمر المؤمنين في الحديث ، وقالوا عن كتابه إنه  
أصح كتاب بعد كتاب الله ، ولقبوا الامام أبا المعالي عبد الملك  
الجويني النيسابوري ( م ٤٧٨ ) بامام الحرمين ، ولقبوا الامام أبا  
حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ( م ٥٠٥ ) بحجة الاسلام ،  
وقد كان المرابي وأبناء العجم هم زعماء العلم ومراجع المسلمين في  
جميع عواصم المملكة الاسلامية الراسعة في آخر القرن الاول  
الهجري . قد انتهت اليهم رئاسة العلم والفتيا ، والفقهاء والحديث ،  
وهي قصة معروفة في جميع كتب الطبقات والسير والتراجم وتاريخ  
الحضارة الاسلامية .

واطر د ذلك في العصور الاسلامية الذهبية التي ساد فيها العرب  
حتى قال نابغة العرب العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي

---

١ - مسند الامام أحمد ج ٢ ص ٢٩٦ .



( م ٨٠٨ هجري ) : « من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة  
الاسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم  
العقلية إلا في القليل النادر ، مع أن الملة عربية ، صاحب شريعتها  
عربي . . . فكان صاحب صناعة النحو سيبويه ، والفارسي من  
بعده ، والزجاج من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم ، وكذا حملة  
الحديث ، وعلماء أصول الفقه ، وحملة علم الكلام ، وأكثر  
المفسرين » (١) .

والعرب بفطرتهم التي فطرهم الله عليها من أقرب الامم والشعوب  
إلى قبول مبدأ المساواة الانسانية واحترام النوع البشري ،  
وأنشطها في تطبيق هذا المبدأ والعمل به ، قد حملوه معهم في  
فتوحهم الواسعة ، وفي زحفهم المبارك ، الذي فح للعالم آفاقاً  
جديدة في العلم والمدنية ، والفضيلة والتقوى ، حتى أحببتهم  
الشعوب المفتوحة - وقد عرفت في التجربة وباهة العقل ببغض  
الفاحين - وغلا بعض الغلاة الوثنيين من مشركي السند والملتات  
في شبه القارة الهندية في القرن الاول الاسلامي ، فصنعت لمحمد بن  
القاسم الشقفي ، الفاتح العربي تماثيل ، أضافتها إلى تماثيلها القديمة  
حبا وإجلالاً .

وأسلم أهل سمرقند البوذيون على بكرة أبيهم ، لما رأوا من

١ - مقدمة ابن خلدون ، المطبعة اليهية المصرية ص ٤٠١ .



معاملة الخليفة عمر بن عبد العزيز ومدل المسلمين<sup>(١)</sup> - بخلاف  
البلاد التي فتحها غير العرب - قاطبة في الاسلام، واعتنقت الحضارة  
الاسلامية، وتكلمت باللغة العربية، وفضلت الفاتحين الاجانب  
وما حملوه معهم من أخلاق وعادات، وشرائع وقوانين، ولغات  
ولهجات، على ما توارثتها من أحقاب طويلة، وأجيال متواصلة،  
وتكون منها هذا العالم العربي الذي نتحدث عنه، ولا تزال كلمة  
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي قالها لاحد قاداته  
الكبار، يتردد صداها في الآذان والقلوب، وفي صفحات التاريخ:  
« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

وقد كانوا في جاهليتهم وفي إسلامهم من أبدا الامم بحكم الفطرة  
والنشأة والمثل العليا التي كانوا يدينون بها طيبة المواقف،  
والتكتم والسرية، والدسيسة والنفاق، فكانوا أعداءاً جهاراً  
وعلانية، وكانوا أصدقاء جهاراً وعلانية، وكانوا إذا حاربوا  
حاربوا في الميدان، وإذا صالحوا صالحوا عن إعلان، دل على ذلك  
شعرهم وأديبهم، ووصاياهم وحكمهم، وأمثالهم وأيامهم في  
الجاهلية والاسلام، ولم يكن النفاق، من طبيعتهم الاصلية، ولذلك  
يكاد المفسرون يتفقون على أنه لا نفاق في مكة، لانها بيئة  
عربية خالصة، لا تشوبها شوائب اليهودية والعناصر الدخيلة،  
وعلى أن جميع الآيات التي جاء فيها ذكر النفاق والمنافقين

١ - راجع فتوح البلدان للبلاذري .



مدنية<sup>(١)</sup> ، وقد استدل لذلك بعض المفسرين والاحوليين بقوله تعالى في سورة البراءة : « **ومن حولكم من الاعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق** »<sup>(٢)</sup> .

فلا خطر على العالم وعلى الرقعة التي يحكمها العرب ، وعلى الشعوب والامم التي يقودونها ، وعلى المدنيات والمؤسسات التي يوجهونها ، وعلى السياسة التي يلعبون فيها الدور الحاسم ، من مؤامرة سرية ، ومن دسائس خفية ، ومن النفاق في الاخلاق ، ومن الافساد بين الطوائف والطبقات ، ومن خلق المشاكل والازمات ، لمصلحة قومية وأنانية فردية أو جماعية ، إنما هي قيادة واضحة حاسمة ، وسياسة ظاهرها وباطنها سواء ، وحكم يعدل مع القريب والبعيد ، والشرقي والغربي ، والعجمي والعربي .

أما هذه القومية المتطرفة ، والعصية الجاهلية ، التي ابتليت بها بعض الجماعات العربية ، وتزعمتها بعض القيادات في العهد الاخير لاسباب ليس هذا محل شرحها ، فهي طارئة دخيلة ، لا تنسجم مع الطبيعة العربية الاسلامية الاصلية ، وهي تثور عليها في أول فرصة وتعود إلى أصلتها القديمة ، وإلى إيمانها الذي امتزج بلحمها ودمها ، وتغلغل في أحشائها ، بقوله تعالى : « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** »<sup>(٣)</sup>

---

١ - سبق لكاتب هذه السطور ، مقال في هذا الموضوع نشرته صحيفة « الفتح » الغراء لصاحبها الاستاذ محب الدين الخطيب سنة ٣٢ أو ٣٣ م .

٢ - سورة البراءة : ١٠١ .

٣ - سورة الحجرات : ١٣ .



وبقول الرسول الاعظم ﷺ « ... الناس بنو آدم و آدم خلق من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » (١) .

وإذا كان الإسلام رسالة الله الاخيرة الخالدة التي تكفل الله ببقائها وخواودها ، وإذا كان القرآن هو الكتاب السماوي الاخير الخالد الذي تكفل الله ببقائه وحفظه ، ولا بقاء للإسلام ولا للمسلمين ( كأمة ذات عقيدة وشخصية ، وقانون وشريعة ، ودعوة ورسالة ) بغيره ، وكل ذلك مكفول مضمون ، وقد قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » (٢) كان بقاء العرب مضموناً مكفولاً كذلك ، فلا بقاء للقرآن بغير اللغة العربية ، ولا بقاء للغة العربية بغير أهلها ، فان كل ذلك لا يقوم في الفضاء ، وليس من المعقول ولا من اللائق بحكمة الله تعالى أن يبقى هذا الكتاب الخالد العالمي لغزاً لا يفهمه أحد ، أو محتوماً لا يستطيع أحد أن يفهم هذا الخاتم ويستفيد به ، أو يبقى أثراً تاريخياً في المتاحف والمستودعات ، قد اندرست لغته كما اندرست الهير وغليفية أو الفينيقية أو الحميرية ، وتعالى الله عن أن يسمي ذلك حفظاً وصيانة ، وفضلاً وكرامة ، ويمن بها على هذه الامة وعلى الانسانية التي لا تزال تستمد منه القوة والحياة ، وتسير في ضوئه في كل عصر وجيل .

وليس من الحكمة أن يعيش العرب مستعبدين ، أذلاء

١ - رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ - سورة الحجر : ٩ .



صاغرين ، ويفقدون كل حول وطول ، وكل وسيلة لتوجيه البشرية وقيادة الانسانية ، وتصبح هذه المنطقة التي أشرقت منها شمس الاسلام ، وانطلقت منها موجة المد الاسلامي في الآفاق ، وارتبط بها تاريخ الاسلام والمسلمين ، هذا الارتباط الوثيق الذي لا مثيل له في تاريخ الديانات ، وفيها هذا البيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً ، ومراح الارواح ، ومهوى الافئدة ، ومدينة الرسول التي هي مهبط الوحي ، وظئر الاسلام ، ومصنع التاريخ ، فلا بقاء للاسلام والمسلمين - ولو قامت لهم ألف دولة ، وارتفع لهم ألف علم ، ولاشرف لهم ولا كرامة ، ولا هدوء ، ولا راحة ، إذا ذل العرب ، وفقدوا هذه المنطقة التي فيها مقدساتهم ، وهي معقل الاسلام ، ومصدره ومأرزه ، ولذلك جاء في بعض كلمات مأثورة : « إذا ذل العرب ذل الاسلام » .

ولذلك كانت هذه الاوضاع غير الطبيعية ، غير صالحة للبقاء والاستمرار ، تعارضها الفطرة البشرية والعقل المستقيم ، والمنطق السليم ، وطبائع الاشياء ، والحقائق الراهنة ، والظروف المحيطة ، والنصوص الدينية ، والوعود الإلهية ، والتاريخ والجغرافية والسياسة الحكيمة التي لم تفقد رشدها ولم تجن جنونها<sup>(١)</sup> . وإذا

---

١ - أما السياسة الخرفاء العمياء التي تتبعها أمريكا وروسيا إزاء العرب ، فهي سياسة تقليدية خالية من كل ذكاء وابتكار ، وجراءة خلقية أو حياء وإنسانية ، خاضعة للنفوذ اليهودي ، ومؤسسة على « السكرتارية » الغبية ، والأوراق والملفات القديمة ، غير مبنية على الحقائق ، ومثل هذه السياسة والاتجاهات ، لا تنشأ إلا عندما يصيب الحكومات الهرم والشيخوخة ، ويدق أبوابها الزوال القريب .



بقيت مدة قصيرة ، فهي مدة طويلة بالنسبة إلى حكم الوضع وطبيعة  
الاشياء وبداهة العقل .

وبعد فإن انتصار الصهيونية في هذه الفترة التي يمر بها العالم  
العربي والاسلامي الآن ، وتحقيق بعض أهدافها ومخططاتها في  
الاستيلاء على هذه المنطقة العربية الاسلامية ، لم يكن انتصار  
رسالة على رسالة ، ولا انتصار أمة على أمة ، ولا انتصار دين على  
دين ، ولا انتصار حق على باطل ، فإن اليهود ليست لهم أي رسالة  
في هذا العصر ، ولم تكن هنالك معركة بين اليهود والامة  
الاسلامية ، أو الشعوب العربية ، فإنه لم يسمح لهذه الامة  
ولا لهذه الشعوب أن تخوض هذه المعركة ، وتبرز جدارتها  
وكوامنها ، ولم يسمح للاسلام بالخوض في حرب حزيران سنة  
١٩٦٧ م ، بل عزل عن الميدان ، وأقصي عن ساحة الحرب  
بتصميم وإرادة . إن جل ما هنالك أنه انتصار أقدر قيادة على  
أخبث قيادة ، وقد كان من سعادة اليهود أن تهيأت لهم قيادة بعد  
آلاف من السنين ، غسلت عنهم العار الذي رافقهم عبر القرون ،  
وفي رحلتهم الطويلة ، وصنعت لهم تاريخاً جديداً ، وكان من نكبة  
المسلمين والعرب أن ابتلوا - لاسباب شرحناها في الفصول الاولى  
من هذا الكتاب - بقيادة جنت عليهم وعلى تاريخهم الجناية الكبيرة ،  
وورطتهم في مازق لا متقدم فيه ولا متأخر .



ولكن قضية القيادة وأخطائها وجنباياتها مها طالت ، فهي  
قضية سهلة يمكن أن تعالج ، أما قضية الرسالات ، وقضية جدارة  
الامم وصلاحيتها للبقاء ، واستحقاقها للنصر ، فقضية عسيرة معقدة ،  
فلا يسهل إبدال رسالة برسالة ، ولا يسهل نفخ روح في جثة هامدة ،  
والامة العربية الاسلامية لا تحتاج إلى رسالة جديدة ، ولا إلى  
دين جديد ، ولا إلى بعث وإحياء ، فإنها هي الامة الزاخرة  
بالحوية والقوة ، المستعدة للانتفاض في كل وقت ، أما القيادات  
فهي كأمواج نهر دافق جار ، تأتي وتذهب ، وتغدو وتروح ،  
وترفع رأسها وتثبت وجودها ، وقد تغرق بعض السفن ، وتحطم  
بعض القوارب ، ولكنها تغيب في جوف النهر الخالد الكبير ،  
وتتوارى في هذا الخضم المائج ، والنهر ذلك النهر ، لا يفقد اسمه  
ولا وجوده ولا شخصيته .

وقد شهد التاريخ الاسلامي أمواجا من هذا النوع ، ارتفعت  
حتى وصلت إلى عنان السماء ، ثم نامت في مهد هذا البحر اللجي وفي  
أعماقه ، فقامت حكومات وطويت حكومات ، وجاءت قيادات  
وذهبت قيادات والاسلام هم الاسلام ، والامة هي الامة ،  
والرسالة هي الرسالة ، والكتاب هو الكتاب ، والايان هو الايمان .  
وهكذا النكبات والكوارث ، وحوادث التراجع والانتكاس ،  
تجارب طبيعية تمر بها الامم الحية النامية ، الدافقة بالحياة ، ومحن  
تمحص بها وتصهر لتبلغ النضج والاكتمال ، وتتعود اليسر والعسر ،  
والسراء والضراء ، ولا تبطر عند الفتح ، ولا تياس عند الهزيمة :





« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »<sup>(١)</sup> كالجسم الحي النامي ، الذي لا يعتمد على حيويته وقوة مقاومته ، حتى يمر بمراحل مختلفة من الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، واختلاف الاجواء والمناخات ، وتنوع الفصول والطقوس ، فيحتمل كل ذلك ويتمرن عليه ، والعودة إلى الصحة مضمونة للجسم السليم القوي ، والانتصار مكفول لصاحب الرسالة الفاضلة ، المفيدة للبشرية ، والصفات الكريمة العائدة بالخير على الجميع ، وصدق الله العظيم :

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض ، فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسخكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين »<sup>(٢)</sup>.

١ - سورة الحديد : ٢٣

٢ - سورة آل عمران : ١٣٧ - ١٤١